سلسلة الثقافة الإسلامية
(١٢٣)

الإمام زين العابدين

علي بن الحسين (عليهما السلام)
دوره الثقافي والسياسي

القسم الثاني

محمّد مهدي الآصفي

اسم الكتاب: الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع)
دوره الثقافي والسياسي (القسم الثاني)
المؤلف:..... محمّد مهدي الآصفي
الطبعة الأولى: ..... ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م
الكمية..... ٥٠٠٠ نسخة
المطبعة: مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق في بغداد
(٨٥٦) لسنة ٢٠١٣م

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)

الأحزاب/ ٣٣.

٤ ـ الثقافة الوعظية

كان لحكومة بني أمية دور واسع ـ كما ذكرنا ـ في إشاعة الترف والفساد واللهو المحرم في الأوساط الإسلامية في هذه الفترة... وقد أثّر ذلك أثراً بليغاً في إبعاد الناس عن الله والقيم الإسلامية الروحية، والاخلاق وعن التفكير في الحياة الآخرة، وكان له أثر بالغ في فساد القلوب وإفراغها من الحالات الإيمانية والمعرفية التي يؤكد عليها الإسلام.

واجه الإمام علي بن الحسين عليه السلام هذه الحالة المجافية لروح الإسلام وتشريعاته وقيمه، وأخذ بنظر الاعتبار في بناء الجماعة الصالحة مكافحة حالة الترف واللهو والفساد والانغماس في اللذات والشهوات والبعد عن الله...

وكان منهج الإمام علي بن الحسين عليه السلام في مكافحة هذه الحالة من الانغماس في شهوات الحياة الدنيا ولذاتها... هو إشاعة (الدعاء) و(الوعظ) في المجتمع، بشكل عام وفي أوساط هذه الجماعة بشكل خاص.

خطاب الدعاء والوعظ:

و(الدعاء) و(الوعظ) خطابان مؤثّران في نفس الإنسان وتربيتها وتذكيرها.

خطاب (الدعاء) خطاب صاعد إلى الله، يرقى بالنفس الإنسانية إلى الله تعالى يناجيه ويخاطبه، ويتضرع إليه، ويطلب منه، ويلتمس لديه. ولهذا الخطاب الصاعد أثر في انتزاع النفس من الدنيا وتشبثاتها بها والانغماس في الشهوات واللذات. . فإن خطاب الدعاء نحو من العروج إلى الله، بدرجة من الدرجات. وجوهر هذا العروج هو التحرر من الدنيا وعلائقها.

والخطاب الثاني هو (الخطاب الوعظي). ولهذا الخطاب تأثير كبير في ترقيق القلوب القاسية، وتزهيد النفوس المتعلقة بالدنيا وتحريرها من التعلق بالدنيا، ويزيل بشكل واضح الدين الصدأ المتراكم على النفوس.

فإن الانغماس في لذات الدنيا ومتاعها، والتعلق بها يترك على نفس الإنسان صدأً كثيراً، ورِيناً، يحجبه عن الله تعالى، ويسلبه الشفافية التي هي أعظم خصائص القلب. وللموعظة تأثير كبير في إزالة هذا الصدأ والرين عن القلوب، وإعادة الشفافية إلى القلوب وترقيقها.

ومن مهام الخطاب الوعظي التذكير بالموت وتنبيه الناس إلى عدم وفاء الدنيا بالإنسان، وأنَّ الأجل ينغض عليه لا محالة، فينتزعه من كل تعلّقاته بالدنيا في لحظة واحدة.

وهذا التذكير يقصّر أمل الإنسان في الدنيا، وهو دواء ناجع لكثير من الأمراض النفسية. . . فإن طول الأمل في الدنيا من أكبر مصائب الإنسان، ولا يحرّره منه إلاّ التذكير المتصل بالموت، وتقريبه إلى الإنسان.

فإن (الموت) كما هو هادم اللذات، كذلك التفكير والتذكير به يكفكف جماح أهواء النفس ويقصّر أمله في الحياة الدنيا.

الخطاب الدعائي ـ الوعظي المزدوج:

وعندما يتألّف الخطاب الواحد منهما، فيكون دعاءً ويكون وعظاً في وقت واحد فإن أثره في تهذيب النفس وترقيقها يتضاعف. . .

وفي التراث الدعائي الذي ورثناه من أهل البيت عليهم السلام كثير من هذا الخطاب الدعائي الوعظي المزدوج.

ومن ذلك الدعاء الذي علّمه أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد (رضوان الله عليه): (اللهم عظم بلائي، وأفرط بي سوء حالي، وقصرت بي أعمالي، وقعدت بي أغلالي، وحبسني عن نفعي بعد آمالي، وخدعتني الدنيا بغرورها، ونفسي بخيانتها، ومطالي يا سيدي. فأسألك بعزتك أن لا

يحجب عنك دعائي سوء عملي وفعالي).

دعاء كميل نموذجاً:

(إلهي وسيدي، لأيّ الأمور إليك أشكو، ولما منها أضجّ وأبكي، لألـيم العـذاب وشـدته، أم لطـول الـبلاء ومدتـه. . . فهبني يا إلهي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك).

ومن ذلك الدعاء الذي علّمه علي بـن الحسين (ع) لأبـي حمزة الثمالي (رحمه الله):

(وَانْقُلْني اِلى دَرَجَةِ الَّتوْبَةِ اِلَيْكَ، وَاَعِنّي بِالْبُكاء عَلى نَفْسي، فَقَـدْ اَفْنَيْـتُ بِالتَّسْـويفِ وَالأمـالِ عُمْـري، وَقَـدْ نَزَلْـتُ مَنْزِلَـةَ الأيِسينَ مِنْ خَيْري، فَمَنْ يَكُونُ اَسْوَأ حـالاً مِنّـي إنْ اَنَـا نُقِلْـتُ عَلى مِثْل حـالي اِلـى قَبْـري، لَـمْ اُمَهِّـدْهُ لِرَقْـدَتي، وَلَـمْ اَفْرُشْـهُ بِالْعَمَل الصّالِحِ لِضَـجْعَتي؟ وَمـالي لا اَبْكـي وَلا اَدْري اِلـى مـا يَكُونُ مَصيري؟ وَاَرى نَفْسي تُخادِعُني، وَاَيّامي تُخاتِلُني، وَقَدْ خَفَقَتْ عِنْـدَ رَأسـي اَجْنِحَـةُ الْمَـوْتِ، فَمـالي لا اَبْكـي؟ اَبْكـي لِخُروجِ نَفْسي، اَبْكي لِظُلْمَةِ قَبْري، اَبْكي لِضيقِ لَحَدي، اَبْكـي لِسُؤالِ مُنْكَر وَنَكير اِيّـايَ، اَبْكـي لِخُرُوجـي مِـنْ قَبْـري عُرْيانـاً ذَليلاً حامِلاً ثِقْلي عَلى ظَهْري، اَنْظُرُ مَـرَّةً عَـنْ يَمينـي وَاُخْـرى عَنْ شِمالي، اِذِ الْخَلائِقِ في شَأن غَيْر شَـأني ﴿لِكُلِّ امْرِئ مِنْهُمْ

يَوْمَئِـذ شَـأنٌ يُغْنيـهِ * وُجـوهٌ يَوْمَئِـذ مُسْـفِرَةٌ * ضـاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ* وَوُجوهٌ يَوْمَئِذ عَلَيْها غَبَرَةٌ * تَرْهَقُها قَتَرَةٌ) وَذِلَّةٌ﴾.

وفي أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام الكثير من هذا الخطاب الدعائي الوعظي المزدوج.

دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام :

ومن نماذج الخطاب (الدعائي الوعظي) المزدوج في كلمات الإمام زين العابدين عليه السلام دعاء مكارم الاخلاق يجمع الإمام في خطاب واحد بين الدعاء والتربية الاخلاقية والروحية وهو الدعاء (٥٥) من الصحيفة السجادية الكاملة. ولا نريد هنا ان نذكر الدعاء بطوله فهو دعاء معروف من ادعية الصحيفة الكاملة، يتضمن مفاهيم اخلاقية كثيرة وقيمة، وله شروح كثيرة ومن افضل الشروح المعاصرة له شرح الشيخ محمد تقي الفلسفي الواعظ الايراني الفقيد الشهير. ونحن نكتفي بذكر مدخل هذا الدعاء، ونحيل القارئ الى الصحيفة السجادية الكاملة.

اللهم صل على محم واله، وبلغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين، وانته بنيتي الى أحسن النيات، وبعملي الى أحسن الأعمال.

اللهم وفر بلطفك نيتي، وصحح بما عندك يقيني، واستصلح بقدرتك ما فسد مني.

اللهم صل على محمد وآله، واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غدا عنه، واستفرغ أيامي فيما خلقتني له، وأغنني وأوسع علي في رزقك، ولا تفتني بالبطر وأعزني، ولا تبتليني بالكبر، وعبدني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب، وأجر للناس على يدي الخير، ولا تمحقه بالمن، وهب لي معالي الأخلاق، واعصمني من الفخر.

اللهم صل على محمد وآله، ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزا ظاهرا إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها.

اللهم صل على محمد وآل محمد، ومتعني بهدى صالح لا أستبدل به، وطريقة حق لا أزيع عنها، ودنية رشد لا أشك فيها، وعمرني ما كان عمري بذله في طاعتك، فإذا كان عمري مرتعا للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إلي، أو يستحكم غضبك علي.

اللهم لا تدع خصلة تعاب مني إلا أصلحتها، ولا عائبة أؤنب بها إلا حسنتها، ولا أكرومة في ناقصة إلا أتممتها.

اللهم صل على محمد وآل محمد، وأبدلني من بغضة

أهل الشنآن المحبة، ومن حسد أهل البغي المودة، ومن ظنة أهل الصلاح الثقة، ومن عداوة الأدنين الولاية ومن عقوق ذوي الأرحام المبرة، ومن خذلان الأقربين النصرة، ومن حب المدارين تصحيح المقة، ومن رد الملابسين كرم العشرة، ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الأمنة. اللهم صل على محمد وآله، واجعل لي يدا على من ظلمني، ولسانا على من خاصمني، وظفرا بمن عاندني، وهب لي مكراً على من كايدني، وقدرة على من اضطهدني...

وما يهمنا الآن في هذه النقطة من البحث (الخطاب الوعظي) عند الإمام علي بن الحسين عليه السلام، ودوره في تربية الجماعة الصالحة.

نموذج من الخطاب الوعظي لزين العابدين عليه السلام

ونذكر هنا نموذجاً واحداً من مواعظ الإمام علي بن الحسين عليه السلام برواية ثقة الإسلام الكليني في (روضة الكافي)، ويرويه أيضاً حسن بن علي بن شعبة الحراني في (تحف العقول)، والصدوق في (الأمالي).

نص الخطاب:

روى ثقة الإسلام الكليني في الروضة بسنده المتصل إلى سعيد بن المسيب، قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يعظ الناس، ويزهّدهم في الدنيا، ويرغّبهم في الآخرة في كل جمعة في مسجد رسول الله، وقد حُفِظَ عنه وكُتب عنه وكان يقول فيما يقول:

(أيها الناس إتقوا الله، واعلموا أنكم إليه ترجعون، فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً، وما عملت من سوء، تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذّركم الله نفسه.

ويحك يا ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه. يا ابن آدم، إن أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً، يطلبك، ويوشك أن يدركك، وكأنّ قد أوفيت أجلك، وقبض الملك روحك، وصرت إلى قبرك وحيداً، فَرُدّ إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان ناكر ونكير لمسائلتك وشديد امتحانك.

ألا وإن أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده، وعن نبيك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت

تتولاّه، ثم عن عمرك فيما كنت أفنيته، ومالك من أين اكتسبته، وفيما أنت أنفقته.

فخذ حِذرك، وانظر لنفسك، وأعِدِ الجواب قبل الامتحان والمسائلة والاختبار، فإن تكُ مؤمناً عارفاً بدينك، متبعاً للصادقين، موالياً لأولياء الله، لقّاك الله حجتك، وأنطق لسانك بالصواب، وأحسنت الجواب، وبُشّرت بالرضوان والجنة من الله عز وجل، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان، وإن لم تكن كذلك، تلجلج[1] لسانك، ودحضت[2] حجتك، وعييت[3] عن الجواب، وبُشرت بالنار، واستقبلتك ملائكة العذاب بنُزل من حميم وتصلية جحيم.

واعلم يا ابن آدم، أن من وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود، يجمع الله عز وجل فيه الأولين والآخرين، ذلك يوم يُنفخ في الصور، وتُبعثر فيه القبور، وذلك يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين، وذلك يوم لا تقال فيه عثرة،

---

(١) أي تردد.
(٢) أي بطلت.
(٣) أي عجزت.

ولا يؤخذ من أحد فدية، ولا تُقبل من أحد معذرة، ولا لأحد فيه مستقبل توبة، ليس إلاّ الجزاء بالحسنات والجزاء بالسيئات.

فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من خير وجده، ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من شر وجده.

فاحذروا أيها الناس من الذنوب والمعاصي، ما قد نهاكم الله عنها، وحذركموها في كتابه الصادق والبيان الناطق، ولا تأمنوا مكر الله وتحذيره وتهديده، عندما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا، فإن الله عز وجل يقول: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ)[1].

وأشعروا قلوبكم خوف الله، وتذكّروا ما قد وعدكم الله في مرجعكم إليه من حسن ثوابه، كما قد خوّفكم من شديد العقاب.

فإنّه من خاف شيئاً حذره، ومن حذر شيئاً تركه.

---

(١) الأعراف/ ٢٠١. ومسهم: ألمّ بهم. طائف من الشيطان: قيل هو الغضب، وكل ما طاف بالإنسان من نزغ الشيطان ووسوسته.

ولا تكونوا من الغافلين المائلين إلى زهرة الدنيا الذين مُكَّروا السيئات، فإن الله يقول في محكم كتابه: ﴿**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأرض أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ**﴾[1].

فاحذروا ما حذّركم الله بما فعل بالظلمة في كتابه، ولا تأمنوا أن ينزل بكم بعض ما تواعد به القوم الظالمين في الكتاب.

والله لقد وعظكم الله في كتابه بغيركم، فإن السعيد من وُعظ بغيره، ولقد أسمعكم الله في كتابه ما قد فعل بالقوم الظالمين من أهل القرى قبلكم حيث قال: ﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً**﴾[2].

وإنما عنى بالقرية أهلها حيث يقول: ﴿**وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً**

---

(١) النحل/ ٤٥ – ٤٧، في تقلبهم: أي في تصرفهم في البلاد ليلاً ونهاراً. على تخوّف: أي ويهلكهم بتخوف، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم.

(٢) الأنبياء/ ١١.

آخَرِينَ﴾[1]، فقال عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ﴾[2].

وأيم الله إن هذه عظة لكم وتخويف إن اتعظتم وخفتم، ثم رجع القول من الله في الكتاب على أهل المعاصي والذنوب فقال عز وجل: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[3].

فإن قلتم أيها الناس: إن الله عز وجل إنما عني بهذا أهل الشرك فكيف ذلك وهو يقول: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[4].

إعلموا عباد الله، إن أهل الشرك لا ينصب لهم الموازين، ولا ينشر لهم الدواوين، وإنما يُحشرون إلى جهنم زُمراً، وإنما

---

(١) الأنبياء/ ١١.

(٢) الأنبياء/ ١٣ - ١٥.

(٣) الأنبياء/ ٤٦، والنفحة: النصيب والحظ.

(٤) الأنبياء/ ٤٧.

تُنصب الموازين وتُنشر الدواوين لأهل الإسلام.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله عز وجل لم يحب زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه، ولم يرغّبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنما خلق الدنيا وخلق أهلها ليبلوهم فيها أيهم أحسن عملاً لآخرته، وأيم الله، لقد ضرب لكم فيه الأمثال، وصرّف الآيات لقوم يعقلون، ولا قوة إلاّ بالله.

فازهدوا فيما زهدكم الله عز وجل فيه من عاجل الحياة الدنيا، فإنّ الله عز وجل يقول وقوله الحق: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرض مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأرض زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1].

فكونوا عباد الله من القوم الذين يتفكرون، ولا تركنوا إلى الدنيا، فإن الله عز وجل قال لمحمدﷺ: ﴿**وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾[2]، ولا تركنوا إلى زهرة الدنيا

---

(١) يونس/ ٢٤.

(٢) هود/ ١١٣. والركون: الميل والرضا بأعمال الظلمة.

وما فيها ركون، من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان، فإنها دار بلغة ومنزل قلعة ودار عمل، فتزودوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرق أيامها، وقبل الإذن من الله في خرابها، فكان قد أخربها الذي عمرها أول مرة وابتدأها، وهو ولي ميراثها، فأسأل الله العون لنا ولكم على تزود التقوى والزهد فيها، جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا، الراغبين لأجل ثواب الآخرة، فإنما نحن به وله[1]، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلّم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[2].

---

(١) أي إنما نحن مرجودون بالله تعالى وله، ففي الاول إشارة إلى تفويض الأمور كلها إليه، وفي الثاني إشارة إلى طلب التقرب منه بالإتيان بالمأمورات والاجتناب عن المنهيات، وبهذا يتم النظام في الدارين وعلو المنزلة في النشأتين، المازندراني ١١ / ٤١٥.

(٢) روضة الكافي، ضبط وتصحيح الشيخ جعفر شمس الدين، دار التعارف - بيروت/ ص ٦٤ - ٦٧.
والأمالي للصدوق، ص ٤٠٧ - ٤٠٩، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
وتحف العقول لحسن بن علي بن شعبة الحراني، ص ٥٩.
وبحار الأنوار: ٢٢٣/٦ و١٤٣/٧٥.

تأملات حول الخطاب:

يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام في مستهل خطابه:

(اتقوا الله، واعلموا أنكم إليه ترجعون، فتجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء، تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً).

هذا الخطاب مقتبس من قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ، تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً، وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ**﴾. آل عمران/ ٣٠.

والآية الكريمة تشير إلى حقيقة هامة، وهي حضور الأعمال بنفسها يوم القيامة، فإنَّ لعمل الإنسان ظاهراً وباطناً، والذي يعرفه الناس من عملهم في الدنيا هو ظاهر العمل، وأما باطن أعمالهم فيتعرفون عليه في الآخرة... ولعل الآية الكريمة من النساء تشير إلى هذا المعنى:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾. النساء/١٠... إن الذين يأكلون أموال اليتامى يرون أنهم يأكلون الدرهم والدينار والذهب والفضة...، إلاّ أنهم في الحقيقة يأكلون النار

الحارقة ولا يشعرون، فإن باطن هذه الدراهم والدنانير التي يأكلونها النار، غير أنهم لا يشعرون بذلك في الدنيا.

فإذا ماتوا وجدوا أعمالهم بباطنها وحقيقتها قد سبقتهم إلى الحياة الآخرة فتحضر لهم أعمالهم (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ). .

وعندئذٍ يتمنى الإنسان أن يكون بينه وبين سيئات أعماله أمداً بعيداً، ولكنها تلتصق به التصاقاً شديداً، لا تفارقه قط، ولا يجد سبيلاً للتخلص منها.

يقول تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾. الزلزلة/ ٧ - ٨.

وآية سورة الزلزلة واضحة في أنَّ الإنسان يقدم على عمله، ويرى عمله يوم القيامة.

فينعم الصالحون يومئذٍ بأعمالهم الصالحة، ويشقى الفاسقون بأعمالهم السيئة.

الغافل غير المغفول عنه:

ثم يحذر الإمام الناس عن الغفلة، ويصفهم بهذا الوصف المثير: (ويحك يا ابن آدم الغافل، وليس مغفولاً عنك)، وهو وصف ينطبق انطباقاً دقيقاً على كثير من الناس. يعيشون في

غفلة تامة عن الله، وعن الموت وعن أنفسهم، وكأنه ليس من وراءهم حساب على أعمالهم، ولا ينفذ أجلهم.... وكل لحظة تمر عليهم يقتطع الزمان من عمرهم قطعة لا تعود اليهم أبداً... ولو اعلموا أنّهم غير مغفول عنهم إذا غفلوا، حافظوا على وعيهم وانتباههم.

فيحذرهم الإمام من هذه الغفلة القاتلة، ويقول: (يا ابن آدم الغافل، وليس مغفولاً عنه) وهذا أضعف ما يمكن أن يكون عليه المقاتل في ساحة القاتل يغفل عن عدوه، وعدوه يرصده رصداً دقيقاً ولا يغفل عنه.

والإنسان الغافل يعيش في الدنيا بين رصدين، عدو يرصده وهو الشيطان لينقضَّ عليه، في لحظات الغفلة فيهلكه، ورقيب يرقبه ويرصد أعماله، ليحاسبه على اعماله يوم يلقى الله، ولا تخفى عليه حظرات فلبه وكوامن نفسه، وهو اقرب اليه من حبل الوريد، ومن عجب أن يعيش الإنسان بين هذا الرصد وذلك الرصد غافلاً.

مواقف السؤال:

ثم ينتقل الإمام(ع) الى موقف السؤال، وخير ما ينّبه الغافلين من غفلاتهم تذكيرهم بمواقف السؤال، وهي اشق

المواقف على الإنسان منذ أن يفارق الإنسان الدنيا... وأول موقف من مواقف السؤال عندما يضعه أهله وأحبته في حفرته ثم يتفرقون عنه، ويتركونه وحيداً.

يقول الإمام(ع): (قد قبض الملك روحك، وصيرك الى قبرك وحيداً، تُرَدُّ اليك روحك، واقتحم عليك ملكان (ناكر) و(نكير) لمسائلتك وشديد امتحانك).

وما أشد وقع المسائلة على الإنسان، اذا كان لم يعد نفسه من قبل لمثل هذه المسائلة... ولو أن الإنسان يعي أن من وراء كل عمل من اعماله سؤال وحساب لم يستسلم للغفلة، وحاسب نفسه، قبل أن تحاسبه ملائكة السؤال والحساب.

وأول سؤال تسأله ملائكة الحساب عن عقائده (ربك الذي كنت تعبده وعن نبيك الذي أرسل اليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولاه)

فإن الإيمان بالله ورسوله وملائكته ودينه والولاية لأولياء الامر هو الأساس الذي يصدر عنه العمل، والعمل الذي يصدر عن غير أساس، مبتور، لا قرار ولا قيمة له.

ولا بد ان يبني الإنسان أعماله على أساس محكم من الإيمان، ويبني إيمانه على أساس من الحجّة.

والإيمان الذي لا يعتمد الحجة والدليل لا قيمة له عند المسائلة والحساب، كما أن العمل الذي يصدر من غير الإيمان لا قيمة له...

ولأمر ما يعقّب القرآن العمل الصالح بالإيمان[1] فإن العمل الصالح ثمرة الإيمان، ولا ينفك عنه، ولن يكون الإيمان عقيماً، والعمل الصالح لا يصدر إلا عن الإيمان، وكل عمل يصدر من غير إيمان واعتقاد قائمين على الحجة والدليل، فاقد للقيمة الأساسية في العمل الصالح، فإن العمل الصالح ليس جهداً صالحاً فقط، كيفما كان مصدر هذا الجهد ومبعثه، وإنّما تقوّمه النية الصالحة، وهذا هو الشطر الثاني من مقومات العمل الصالح.

والنية الصالحة، بالنظرة الدقيقة الكلية، تعتمد الإيمان القائم على الحجة والدليل وهذا هو الشطر الثالث من مقومات العمل الصالح.

---

(١) البقرة/ ٢٥-٢٨-٢٧٧، آل عمران/٥٧، النساء/٥٧-١٢٢-١٧٣، المائدة/٩-٩٣، الأعراف/٤٢، يونس/٤-٩، هود/١١...

(١) الصلاح، (٢) النية، (٣) الإيمان:

إذن السؤال يتم على محورين لا يعفى عنهما الإنسان الإيمان والعمل.

يقول زين العابدين عليه السلام عن المحور الثاني (وعن عمرك فيما أفنيته، وعن مالك فيما أنفقته).

الهول الأكبر من أهوال ما بعد الموت:

وهو هول يوم القيامة يوم يحشر الناس كالجراد المنتشر.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ القمر(٦-٨).

وأي يوم رعيب هذا اليوم الذي يمتد على الناس في مواقف الحساب خمسين ألف سنة، وأي حساب عسير هذا الحساب ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾ المعارج (٤-١٠).

ويحشر الناس يومئذ، ولا يسال حميم عن حميم، وينتشرون كالفراش المبثوث، همّ كل واحد منهم أن

يتخلّص من عذاب جهنم، ويعبر الصراط الى الجنة.

ونقرأ سورة القارعة، فتقف كل شعرة في جسم الإنسان، إذا قرأها حق قراءتها، من هول ذلك اليوم الرهيب.

﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ سورة القارعة.

ويضرب الناس في ذلك اليوم الرهيب زلزال عظيم يفقد الناس فيه صوابهم، ويمسون وكأنهم سكارى، وما هم بسكارى، ولكن هول ذلك اليوم الرهيب يفقدهم الصواب، فيتراءى لمن يراهم أنّهم سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الحج(١-٢).

ولا يمر على الإنسان هول أعظم من هذا الهول الذي يصيب الناس يوم الزلزال الاكبر، وناهيك في ذلك أنَّ العظيم تبارك وتعالى يعّبر عن زلزال هذا اليوم بأنه (شيء عظيم)...

في هذا الزلزال تذهل المرضعة عما أرضعت، وهو أكثر ما يمكن أن يتصوره الإنسان من الهول الذي يصيبه، حتى تذهل المرضعة عما أرضعت... أعاذنا الله من هول ذلك اليوم بظلال أمنه الذي يرزق عباده الصالحين، ولسنا منهم، ولكننا نرجو أن يعاملنا بفضله ولطفه، وليس بعدله.

ونقرأ آيات سورة المعارج فتمتلأ قلوبنا رهبة وهيبة من ذلك اليوم الرهيب الذي يمتد خمسين ألف سنة... كله حساب ومسائلة، يمتد هذا الزمن الطويل، وكلّه رهبة وخوف، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

وليس ببعيد ذلك اليوم الرهيب ولكن الناس عنه في غفلة وسبات. يومئذ يكون السماء كالمهل (النحاس المذاب) من شدة الحر الذي تصبّه عليهم السماء، أو الزيت الذي يغلي من شدة الحر، والجبال يومئذ كالصوف المنفوش ﴿**وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ**﴾ المعارج/٩.

﴿**وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ** ﴾ القارعة/٥.

والصوف المنفوش الصوف الذي فقد تماسكه وأصبح هشاً بعد تصلب، ولعل ذلك من أثر الزلزال العظيم الذي تصيب ساحة الحشر فتهتز له الجبال هزات قوية، فتكون

كالعهن المنفوش.

وكل إنسان مشغول بشأنه في ذلك اليوم العسير، لا يسال حميم عن حميم.

يومئذ يوّد المجرم لو يدفع عذاب ذلك اليوم عنه بأعز من يعرف من أهله وأبنائه وزوجته وإخوانه وعشيرته، ومن في الأرض جميعاً وينجو بذلك من عذاب الله... ولكن هيهات (كلا).

ثم تقرر آيات المعارج هذه الحقيقة المرة (أنها لظى) تتلظى، وتلتهب على المجرمين وتنزع من شدة الحر جلود رؤوسهم (نزعة للشوى).

ولنقرأ هذه الآيات من سورة المعارج، وهي كما قلنا في الآيات التي تلوناها من قبل من سورة القارعة إذا أعطاها الإنسان حقها من القراءة والوعي تقف عند قراءتها كل شعرة في جسمه من هول ذلك اليوم: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ**

وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَن فِي الأرض جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ المعارج(١-١٨).

يقول الإمام علي ابن الحسين عليه السلام عن هذا اليوم المهيب، وعن هذا الهول الأعظم:

(واعلم أن من وراء هذا (يعني مسالة القبر والبرزخ) أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس...)

التحذير من المعاصي:

ثم يحذرهم الإمام ذنوبهم وأثارهم وتبعاتها السيئة على دنياهم وآخرتهم ومعاشهم ومعادهم. (فاحذروا) أيها الناس من المعاصي، ما قد نهاكم الله عنه، وحذركموها في كتابه الصادق الناطق، ولا تأمنوا مكر الله وتحذيره وتهديده عندما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا... فاشعروا قلوبكم خوف الله، وتذكروا ما وعدكم في مرجعكم إليه من حسن ثوابه، كما خوفكم من شديد عقابه.

يقول سبحانه: **﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ**

اللّهُ بِهِمُ الأرض أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ النحل/٤٥.

إن للذنوب آثاراً سيئة في دنيا الناس ومعاشهم وأثاراً أسوأ في معادهم وأخرتهم.

إما ما يتعلّق بدنيا الناس فان للذنوب والسيئات أثاراً تخص العاملين بها.

وهناك ذنوب ترتكب من ناحية المجتمع، ويشيع في أوساط الناس، دون أن يقابلها إنكار للمنكر بحجم الذنوب والمعاصي، وبحجم الامة... عندئذ العذاب ينزل على الامة كلها، وليس على المذنبين والعاصين بالخصوص، وهو قوله: **﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** الأنفال/٢٥.

والعقوبات التي تخص هذه الذنوب إبتلاءات ومصائب عامة وسقوط حضاري، كما يحدثنا القرآن في الأمم السابقة، وكما عرفنا في عصرنا ذلك في سقوط دولة الالحاد في الاتحاد السوفيتي السابق.

يقول تعالى: **﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾** الأنعام/٦.

وفي قوم نوح يقول تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾نوح/٣٥.

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ البقرة/٥٩.

والمعلوم أن الرجز الذي نزل من السماء عمّ الجميع، وأن الجميع لم يكونوا من الظالمين، فعمّهم العذاب، عندما شاعت فيهم الذنوب، وانقطع فيهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ النمل/٥٢.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ الشمس/١٤.

وأما الذنوب التي لا تعم المجتمع، فهي التي يقابلها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأنها تكون بحجم المعصية وبحجم العاملين بالمعصية، والعذاب في مثل هذه الذنوب يقع على المذنبين خاصة، كما ذكرنا.

يقول تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ الشورى/٣٠.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ آل عمران/٢٥.

﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ البقرة/٢٨١.

هذا كله فيما يصيب الناس من عقوبة في معاشهم ودنياهم

على ذنوبهم...

وأما ما يتعلق بعقوبات الآخرة فأنها لا تنزل إلا على العصاة والمذنبين خاصة، وبقدر ذنوبهم ومعاصيهم ﴿**لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾.

ذلك أن يوم القيامة يوم الفصل، يفصل فيما بين الناس فلا يتحمل بريء عقوبة المجرمين.

وهذه العقوبات هي التي تحدثنا عنها في العنوان السابق (الهول الأكبر) يوم القيامة.

﴿**يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَن فِي الأرض جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى**﴾ المعارج(١١-١٨).

هذه العقوبة تخص المجرمين فقط (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ)، وهذه العقوبة تدعوا فقط من أدبر وتولى وجمع فأوعى.

السعيد من وُعِظَ بغيره:

ويحذرهم الإمام عليه السلام أن يكونوا عظة للآخرين... وإنما على المؤمن أن يتعظ بالآخرين، ولا يكون موعظة لهم

(فاحذروهم ما حذركم الله بما فعل الظلمة في كتابه. لقد وعظكم بغيركم، وإن السعيد من وعظ بغيره) إنّ الله تعالى يعظنا في كتابه بالأشقياء من الناس، الذين أسقطتهم سيئاتهم وظلمهم في الهاوية...

فعلينا أن نتعظ بهم، ونحذر أن نقع فيما وقعوا فيه، فإن شقائهم وسقوطهم لنا موعظة ودرس، علينا أن نستفيد منها... وحذار حذار ان يكون المسلم هو نفسه درساً وموعظة للآخرين... إذا لم ينتفع هو بسقوط الظالمين والمذنبين وشقاوتهم من قبل.

(فكونوا أيها المؤمنون من القوم الذين يعقلون).

فإن الغفلة عن موارد العظة ممن جاء قبلنا من الناس يأتي بسبب تعطيل العقول... والعقول من المواهب الإلهية العظيمة، التي يخسرها الإنسان إذا عطلها كما يخسر الإنسان كلما رزقه الله تعالى من المواهب، إذا عطّلها.

الركون الى الدنيا والركون الى الظالمين:

ويحذرنا الإمام في خاتمة هذا الدرس عن ركونين، هما سبب الكثير من ابتلاءات الإنسان ومصائبه في هذه الدنيا والآخرة، وهو الركون الى (الدنيا) والركون الى الظالمين:

يقول عليه السلام (ولا تركنوا الى هذه الدنيا وما فيها ركون من اتخذها داراً قرار ومنزل شيطان فأنها دار قلعة ونزل بلغة، ودار عمل).

وهذا هو الركون الأول.

والركون الثاني: الركون الى الظالمين، فإن الله قال لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ﴾ هود/١١٣.

هذا الركون وذلك الركون يستنزلان غضب الله وعذابه. الركون الى الدنيا وزخرفها ومتاعها، يطيل أمل الإنسان في الدنيا، وطول الأمل في الدنيا يعادل دائما نسيان الموت والآخرة... وهما بمعنى الإعراض عن الله تعالى ونسيانه.

والدنيا، كما يقول الإمام عليه السلام ليست بدار قرار واستيطان، وإنما هي منزل قلعة، سرعان ما يقلع الإنسان عنه، ومنزل بلغة، يبلغ بها وفيها ما قسم الله لعباده الصالحين في نعيم رضوانه وجناته.

فمن جعلها دار قرار واستيطان، استغرقته، وبقدر ما تستغرقه الدنيا يخسر الآخرة، والإعداد والتحضير لها.

والركون الى الظالمين، بمعنى نفي الركون الى الله، فلا يمكن أن يجمع الإنسان بين الركون الى الله والثقة به

والاطمئنان إلى الظالمين.

ولا يمكن أن يستشعر الإنسان الأمن والاطمئنان بجوار الله، وفي نفس الوقت يستشعر الامن والاطمئنان بجوار أعداء الله.

إن الركون الى الظالمين يسلب صاحبه الركون الى الله بالتأكيد.

وما أشقى الإنسان وأعظم بؤسه إذا إنتزع من نفسه وقلبه الركون الى الله العلي الأعلى، واستبدله بالكون الى الظالمين؟

يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ﴾ هود/١١٣.

خطاب وعظي آخر للإمام زين العابدين عليه السلام:

وفيما يلي نروي خطاباً وعظياً آخر للإمام زين العابدين عليه السلام برواية الشيخ الكليني في روضة الكافي.

عن أبي حمزة قال: ما سمعت بأحد من الناس كان أزهد من علي بن الحسين عليهما السلام إلا ما بلغني من علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال أبو حمزة: كان الإمام علي بن الحسين عليهما السلام إذا تكلّم في الزهد ووعظ أبكى من بحضرته.

قال أبو حمزة: وقرأت صحيفة فيها كلام زهد من كلام علي بن الحسين عليه السلام، وكتبت ما فيها، ثم أتيت علي بن الحسين صلوات الله عليه، فعرضت ما فيها عليه، فعرفه، وصححه.

وكان ما فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم. كفانا الله وإياكم كيد الظالمين، وبغي الحاسدين وبطش الجارين.

أيها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا المائلون إليها، المفتنون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد وهشيمها البائد[1]، غدا. واحذروا ما حذركم الله منها، وازهدوا فيما زهدكم الله فيه منها، ولا تركنوا الى ما في هذه الدنيا، ركون من إتّخذها دار قرار ومنزل استيطان.

والله إن لكم مما فيها عليها دليلا وتنبيها من تصريف

---

(١) الحطام: ما يكسر من اليبس، والهامد: البالي المسود المتغير، واليابس من النبات والهشيم من النبات: اليابس المتكسر. والبائد: الذاهب المنقطع أو الهالك.

أيامها وتغير انقلابها ومثلاتها[1] وتلاعبها بأهلها، إنها لترفع الخميل[2] وتضع الشريف، وتورد أقواما الى النار، غدا، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه.

إنّ الأمور الواردة عليكم في كل يوم وليلة من مظلمات الفتن[3] وحوادث البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبة السلطان، ووسومة الشيطان لتثبط القلوب[4] عن تنبهها، وتذهلها عن موجود الهدى، ومعرفة أهل الحق، إلا قليلاً ممّن عصم الله.

فليس يعرف تصرّم أيامها وتقلب حالاتها وعاقبة ضرر فتنتها إلا من عصم الله ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد، ثم استعان على ذلك بالزهد، فكرر الفكر، واتغظ بالصبر، فازدجر، وزهد في عاجل بهجة الدنيا، وتجافى عن لذاتها، ورغب في دائم نعيم الآخرة، وسعى لها سعيها وراقب

---

(١) المثلاث: العقوبات.
(٢) الخامل: الساقط الذي لا نباهة له.
(٣) في بعض النسخ (ملمات).
(٤) التثبيط: التعويق والشغل عن المراد.

الموت، وشنأ الحياة[1] مع القوم الظالمين.

نظر الى ما في الدنيا بعين نيرة حديدة البصر[2]، وأبصر حوادث الفتن، وضلال البدع، وجور الملوك الظلمة.

فلقد لعمري استدبرتم الأمور الماضية في الأيام الخالية من الفتن المتراكمة والانهماك[3] فيها ما تستدلون به على تجنب الغواة وأهل البدع والبغي والفساد في الأرض بغير الحق.

فاستعينوا بالله وارجعوا الى طاعة الله وطاعة من هو أولى بالطاعة ممن اتبع فأطيع.

فالحذر، الحذر، من قبل الندامة، والحسرة، والقدوم على الله، والوقوف بين يديه.

وتالله ما صدر قوم قط من معصية الله إلا الى عذابه، وما آثر قوم قط الدنيا على الآخرة إلا ساء منقلبهم، وساء مصيرهم، وما العلم بالله والعمل إلا إلفان مؤتلفان[4].

---

(١) الشناءة: البغض وشنأه: أبغضه.

(٢) في بعض النسخ (حديدة النظر)

(٣) الانهماك: التمادي في الشيء واللجاج فيه.

(٤) الألف: الأليف.

فمن عرف الله خالقه، حثه الخوف على العمل بطاعة الله.

وإن أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه. وقد قال الله: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**﴾ فاطر/٢٨.

فلا تلتمسوا شيئاً مما في هذه الدنيا بمعصية الله، واشتغلوا في هذه الدنيا بطاعة الله، واغتنموا أيامها، واسعوا لما فيه نجاتكم غدا من عذاب الله، فإن ذلك أقل للتبعة، وأدنى من العذر، وأرجا للنجاة، فقدموا أمر الله وطاعة من أوجب الله طاعته بين يدي الأمور كلها، ولا تقدموا الامور الواردة عليكم من طاعة الطواغيت من زهرة الدنيا بين يدي الله على طاعته وطاعة أولى الأمر منكم.

واعلموا أنكم عبيد الله، ونحن معكم، يحكم علينا وعليكم سيد حاكم غدا، وهو موقفكم ومسائلكم، فأعدوا الجواب، قبل الوقوف، والمسائلة والعرض على رب العالمين، يومئذ لا تكلم نفس إلا باذنه.

وأعلموا أن الله لا يصدق يومئذ كاذباً، ولا يكذب صادقاً، ولا يرد عذر مستحق، ولا يعذر غير معذور، له الحجة على خلقه بالرسل والاوصياء بعد الرسل.

فاتقوا الله عباد الله، واستقبلوا في إصلاح أنفسكم وطاعة

الله[1] وطاعة من تولونه فيها، لعل نادما قد ندم فيما فرط بالأمس في جنب الله، وضيع من حقوق الله. واستغفروا الله، وتوبوا إليه، فإنه يقبل التوبة، ويعفو عن السيئة، ويعلم ما تفعلون.

وإياكم وصحبة العاصين، ومعونة الظالمين، ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم وتباعدوا من ساحتهم[2].

واعلموا أنه من خالف أولياء الله، ودان بغير دين الله، واستبدَّ بأمره دون أمر ولي الله كان في نار تلتهب، تأكل أبدانا قد غلبت عليها شقوتها.

واعتبروا يا أولي الأبصار، وأحمدوا الله على ما هداكم، واعلموا أنكم لا تخرجون من قدرة الله الى غير قدرته، وسيرى الله عملكم ورسوله ثم إليه تحشرون، فانتفعوا بالعظة وتأدبوا بآداب الصالحين[3].

---

(١) في بعض النسخ (في اصلاح أنفسكم في طاعة الله).

(٢) الساحة: الناحية.

(٣) روضة الكافي: وهي الجزء الثامن من الكافي: ١٦-١٧ وبحار الأنوار: ١٥٠/٧٥ وتحف العقول في فصل مواعظ وحكم الإمام علي بن الحسين عليه السلام : ١٨١ ـ ١٨٢ منشورات بصيرتي ١٣٩٤ هـ. ش / قم.

تأملات في خطاب الإمام عليه السلام:

يقول الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في هذا الخطاب:

«ايها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت واتباعهم، من أهل الرغبة في هذه الدنيا، المائلون اليها، المفتنون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها للهامد.

واحذروا ما حذركم الله منها، وازهدوا فيما زهدكم الله فيه منها، ولا تركنوا الى ما في هذه الدنيا ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان».

فتنة الطاغوت:

الهوى والطاغوت أعظم خطرين في حياة الإنسان. الهوى من (داخل النفس) والطاغوت في ساحة الحياة (على الأرض).

وفتنة الطاغوت في اخراج الناس دائرة عبودية الله تعالى وطاعته الى دائرة عبودية الطاغوت وطاعته، من دون الله ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ البقرة/٢٥٧.

وعبادة الطاغوت طاعته واتباعه، من دون الله... وقد ورد

التعبير عن طاعة (الطاغوت) و(الشيطان) بالعبادة في القرآن في اكثر من موضع.

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ المائدة/٦٠.

وعن طاعة الشيطان ورد في القرآن:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ يس/٦٠-٦١.

وفتنة الطاغوت في تطويع الناس لطاعتها هي بالإرهاب والاغراء والتغرير (التضليل).

فإذا إفتتن الطاغوت الناس تحّول الإنسان إلى أداة طيّعة مطيعة لارادة الطاغوت، لا يسعه أن يعصيه، بل يفهم الاشياء كما يفهمه الطاغوت، ولا يكون بوسعه ان يرى الاشياء ويفهمها بغير ما يراه الطاغوت ويفهمه.

ولقد انكر فرعون على السحره اذ آمنوا بآلة موسى قبل أن يأذن لهم.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ؟﴾ الأعراف/١٢٣.

إنّ فرعون يتوقع من الناس أنّ يتبعوا في إيمانهم وقناعاتهم اذن فرعون، وما لم يأذن لهم بقناعه أو إيمان كان

عليهم أن يثبتوا على القناعات الرسمية التي يرسمها لهم الطاغية... وهذه خصلة أصيلة في كل الطغاة على اختلاف درجاتهم في الطغيان.

فإذا تمكّن الطاغية من تطويع الناس لإرادته وفهمه وذوقه... فقد تحول الناس عندئذ الى كتلة بشرية (إمّعة) فاقدة للارادة والوعي والضمير.

وكيف يتم للطاغية استفراغ شخصية الإنسان من وعيه وعقله وارادته وضميره وسائر المواهب التي وهبها الله تعالى للإنسان؟

الجواب في القرآن:

يقول تعالى عن فرعون: ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ**﴾ الزخرف/٥٤.

والمقصود بذلك فرعون.

استخفهم: أي استفرغ فرعون نفوسهم وعقولهم من الوعي والعقل والارادة والبصيرة والمواهب التي يرزق الله تعالى الإنسان.

وعندما يفقد الإنسان وعيه وارادته وضميره وعقله يصبح خفيفاً حسب الموازين الإنسانية، فاقداً للوعي والارادة، فيطفو ويتعوّم خفيفاً بين يدي الطاغوت، فيحركه ويوجهه كما

يريد، كما تطفو الخشبة العائمة على سطح الماء، فتاخذه الأمواج يميناً وشمالاً من غير مقاومة (فا ستخف قومه فاطاعوه).

ويصف الإمام أتباع الطاغوت الذين يعبدونه من دون الله بهذه الاوصاف (أهل الرغبة في هذه الدنيا، المائلون اليها، المفتنون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد...).

إذن يتّضح لنا من خلال هذه الكلمات كيف يستلب الطاغوت وعي الناس ورشدهم وعقلهم وإرادتهم ومقاومتهم.

إنّ الطاغوت ومن قبله الشيطان يجد في الناس ميلاً الى الدنيا ورغبة قوية، وتعلقاً شديداً بها وضعفاً تجاهها.

فيطمعهم الطاغوت بالدنيا، ويغريهم ويهددهم بها، فيتمكن منهم، ويمكنونه من انفسهم وعقولهم وإرادتهم وضمائرهم، فيستلبهم عند ذلك كل هذه المواهب الالهية العظيمة، فيصبحون خفافا في ميزان القوي.

إذن مصيبة الإنسان الكبرى في فتنة الطاغوت.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ البقرة/٢٥٧.

فتنة الدنيا:

وجذور فتنة الطاغوت في فتنة الدنيا.

وإذا أردنا مكافحة فتنة الطاغوت فلا بد ان نعمل لعلاج فتنة الدنيا في حياة الإنسان، فيقدم الإمام علاجين لفتنة الدنيا.

يقول عليه السلام كما في الفقرة المتقدمة من كلامه (واحذروا ما حذركم الله منها، وازهدوا فيما زهدكم الله فيه منها، ولا تركونا الى ما في هذه الدنيا ركون من إتخذها دار قرار ومنزل استيطان).

التقوى والزهد:

والنقطة الأُولى في علاج فتنة الطاغوت هي ان يحذر الإنسان مما حذره الله تعالى من فتن الدنيا التي حرمها الله كالسكر، والفحشاء، والمال الحرام، واللهو الحرام.

وهذا هو التقوى.

فقد احل الله تعالى للانسان ان يسعى في مناكب الأرض ويتمتّع برزق الله.

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ الملك/١٥.

وجعل لهم فيها حدوداً، وحذرهم من أن يتعدوها.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾ البقرة/١٨٧.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ الطلاق/١.

والتقوى هو الالتزام بحدود الله تعالى.

وهذا هو العامل الاول الذي يحفظ الإنسان من فتنة الدنيا (فاحذروا ما حذركم الله منها).

والعامل الثاني لمكافحة فتنة الدنيا الزهد وعدم الركون الى الدنيا.

يقول عليه السلام: «وازهدوا فيما يزهّدكم الله فيه منها، ولا تركنوا الى ما في هذه الدنيا ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان».

إنّ (الزهد) غير (التقوى).

ولا يمكن علاج فتنة الدنيا بالتقوى فقط من دون الزهد. وسوف يتضح لكم وجه هذه الحقيقة.

إن حقيقة الزهد تحرير النفس من التعلق بالدنيا، وليس من التمتع والانتفاع بالدنيا، ومصيبة الإنسان في التعلق بالدنيا، وليس في التمتع بالدنيا، وان كان الاستغراق في التمتع بطيبات الحياة تؤدي الى التعلق بالدنيا غالباً.

يصف أمير المؤمنين عليه السلام الزهد، فيقول: الزهد كله بين كلمتين من القرآن:

قال الله سبحانه: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ الحديد/٢٣.

ومعنى آية الحديد/٢٣ ان أساس مصيبة الإنسان وسقوطه في الحزن (الأسى)، بما فاته والفرح بما آتاه.

وفي هذا الحزن والفرح يكمن تعلق الإنسان بالدنيا وحطامها ومتاعها.

والتعلق بالدنيا وحبّها رأس كل خطيئة في حياة الإنسان.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «جعل الشر كله في بيت، وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا»[١].

وعن علي بن الحسين عليهما السلام: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[٢].

وعنه عليه السلام ايضاً «حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب»[٣].

---

(١) مشكاة الأنوار للطبرسي: ٢٠٢/١.
(٢) المصدر السابق: ٢٠٤/١.
(٣) المصدر السابق: ٢٠٥/١.

وتعبير الإمام عليه السلام دقيق إنّ حبّ الدنيا يسلب الإنسان وعيه وعقله وبصيرته، فهو (يُعمي ويُصمُّ الإنسان) ويسلب منه القدرة على الخطاب (ويبكم)، ويذله ويذل رقبته، ويطوّعه لسلطان الطاغوت وإرادته.

وحب الدنيا هو الركون الى الدنيا الذي يحذرنا منه الإمام علي بن الحسين عليه السلام في كلمته السابقة.

«ولا تركنوا الى ما في هذه الدنيا ركون من إتّخذها دار قرار ومنزل استيطان».

إن الركون الى الدنيا، وسكون نفس الإنسان اليها لا يكون الا عند التعلق بالدنيا والانشداد اليها، وهو أساس مصائب الإنسان.

وما للانسان وللتعلق بالدنيا؟ والدنيا دار قلعة، يقلع الإنسان منها أحبّ لم لم يحب، وليست بدار قرار.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أنا والدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل رجل راكب، مرَّ على شجرة لها فيئ فاستظل تحتها. فلما أن مال الظل عنها ارتحل، وذهب وتركها»[1].

(١) مشكاة الأنوار: ٢٠٥/١.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «واحذركم الدنيا فانها دار قلعة وليست بدار نجعة»[1].

ويقول علي بن الحسين عليهما السلام:

«ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار» ولا تركنوا الى زهرة الحياة الدنيا، وما فيها ركون. فانها دار قلعة وبلغة ودار عمل»[2].

الركونان اللذان يفسدان الناس:

يذكرنا الإمام علي بن الحسين عليه السلام في هذه الكلمة بالركونين الذين يفسدان الناس:

الركون الأوّل: الركون الى الظالمين. يقول تعالى: ﴿**وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾ هود/١١٣.

والركون الثاني الذي يفسد الناس: الركون الى الحياة الدنيا.

يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأرض أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ**

---

(١) بحار الأنوار: ١٢٣/٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ١٤٦/٧٥.

الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ التوبة/٣٨.

والرضا بالحياة الدنيا هو الركون الى الدنيا.

ويقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾ يونس/٧ ـ ٨.

وهذه الطمأنينة بالدنيا هي الركون الى الدنيا والرضا بها والاطمئنان إليها.

وهو أحد الركونين المحظورين في منهج التربية الإسلامية:

إذن المحظور من الدنيا أمران.

(التعلّق بها) و(الركون إليها). والركون هو الاطمئنان.

والسائغ من الدنيا هو التعامل معها والتمتّع بطيّباتها، ولكن بشرط ألاّ يستغرق هذا التعامل لانسان.

فإن الاستغراق في التعاطي مع الدنيا يؤدي بالإنسان غالباً الى المحظورين الذين ذكرناهما وهما التعلّق والحبّ أوّلاً، والاطمئنان والركون ثانياً.

وكيف يمكن الركون الى الدنيا؟ وهي دار قلعة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، وما اسرع ما يقلع الإنسان عنها شاء أم

أبى، ورضى أم سخط.

والاطمئنان والركون الذي يأمرنا الاسلام به في منهج التربية الإسلامية هو الاطمئنان بذكر الله والركون إلى الله ورحمته والرجاء برحمة الله.

يقول تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد/٢٨.

يقول علي بن الحسين عليه السلام:

«والله إنّ لكم مما فيها عليها دليلاً وتنبيهاً من تصريف أيامها وتغير انقلابها، ومثلاتها وتلاعبها باهلها، وإنها لترفع الخميل، وتضع الشريف، وتورد اقواماً الى النار غداً ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه».

ان الدنيا حلوة، خضراء، لاهية، فاتنة، تفتن أهلها وتلهيهم، وتجتذبهم، وتسحر عيونهم، ولكن الذين ينظرون الى الدنيا من خلال تقلباتها ومثلاتها (شدائدها، وعذابها، ومعاناتها) وتغريرها بأهلها، وتصرّم أيامها، وانقضاء لذاتها وشهواتها لا تسحرهم الدنيا ولا تفتنهم ويحذرون من أن تفتنهم وتسحرهم.

إنّ الدنيا ترفع الوضيع الخامل، وتضع الشريف النابه... ومن هذه الدنيا يسقط اقوام في نار جهنم، ومن أجل هذه الدنيا يرتكب ناس أفظع الجرائم، ثم ينتهي أمدهم في الدنيا،

ويسقطون في درجات الجحيم.

وكم للدنيا من إقبال وادبار وترفيع وتسقيط... فاذا نظر الإنسان الى الدنيا من خلال هذه المشاهد لم تفتنه الدنيا، ولم يلهه الأمل، ولم يطل أمله في الدنيا، ولا تخدعه الدنيا بزهوها ولهوها وفتنتها، ويعرف كيف يعيش في الدنيا، دون أن يركن إليها، وكيف يعمر الدنيا من غير أن يستوطنها.

هذه النقطة من اساسيات منهج التربية الإسلامية.

ولأمير المؤمنين عليه السلام كلمة في هذا المجال دقيقة ومعبرة، ومن رقائق الثقافة الإسلامية، تحدثت عنها في كتاب (الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام) انقل اليكم شطراً منه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كان لي فيما مضى أخ في الله، وكان يعظّمه في عيني صغر الدنيا في عينه»[1]، فهناك إذن من الناس من يستصغر الدنيا، ومن الناس من يستعظمها، وهاتان رؤيتان إلى الدنيا.

يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في وصف الدنيا: «ما أصف من دار أوّلها عناء، وآخرها فناء، في حلالها

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٨٩.

حساب، وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فُتن، ومن أفتقر فيها حزن»[1]، وهذا هو الوجه الباطن للحياة الدنيا، والرؤية الواعية النافذة إلى الدنيا.

ثم يقول عليه السلام: «من ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته»[2]، وهذه سُنّة من سنن الله تعالى في علاقة الإنسان بالدنيا، لا تختلّ، ولا تتغيّر، فمن يركض وراء الدنيا و«يساعيها» ويجاريها تُتْعِبُه، فلا يكاد يحقق طموحه فيها، وكلما يكسب فيها من رزق يطمح فيها إلى أبعد من ذلك، ويسعى إليه، فهو يجاري الدنيا ويركض خلفها، دون أن يصل إلى غايته منها، ومن يتجمّل في طلبها، فإن الدنيا تؤاتيه وتطاوعه، وينال حاجته منها.

ثم يقول عليه السلام وهو موضع الشاهد في هذا النصّ: «من أبصر بها بصّرته، ومن أبصر إليها أعمته»[3].

يقول الشريف الرضي في تفسير هذا الكلام: «والمتأمّل فيه يجد تحته من المعنى العجيب، والغوص البعيد ما لا يُبلغ

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٢

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٢

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٨٩، ١: ١٠٦ ط / الصالح.

غايتهُ، ولا يدرك غوره»، وهذا الذي يذكره الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام نحوان من الرؤية: أحدهما «إبصار بالدنيا» وهي نظرة الاعتبار، والثاني (إبصار إلى الدنيا)، وهي نظرة الاغترار والافتتان، ولابد لذلك من إيضاح:

إنّ الدنيا قد تكون مرآة ينظر بها الإنسان، وقد تكون غاية ينظر إليها الإنسان وهما نحوان من الرؤية.

فإذا كانت الدنيا مرآة ينظر بها الإنسان إلى الحضارات البائدة، وإلى الذين طغوا واستكبروا على وجه الأرض، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر... فان هذه النظرة تكون نظرة «اعتبار» و«اتعاظ».

وأما عندما تكون الدنيا غاية ينظر إليها الإنسان وينشد إليها، فان الدنيا تستهويه وتفتنه، وتعميه، ويراها حلوة، خضرة.

والنظرة الأُولى مادة للاعتبار، والثانية مادة للافتتان والاغترار، وفي الأُولى وعي وبصيرة، وفي الثانية تلبيس وغرور.

ولابن أبي الحديد في شرح هذه الكلمات بيتان في توضيحها، يقول: ونظرت إلى قوله عليه السلام: «من أبصر بها بصّرته، ومن أبصر إليها أعمته» فقلت:

دنياك مثل الشمس تدني الـ
يك الضوء لكن دعوةَ المُهْلكِ
إن أنت أبصرت إلى نورها
تَعْشُ وإن تُبصر به تدرك

وفي تعميق هذه الرؤية وتأكيدها يقول أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: «... جعل لكم أسماعاً لتعي ما عناها، وأبصاراً لتجلو عن عشاها... وخلّف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم،... أرهقتْهم المنايا دون الآمال،... لم يمهدوا في سلامة الابدان، ولم يعتبروا في آنف الاوان،... فهل دفعت الاقارب؟ أو نفعت النواحب؟ وقد غُودِر في محلّةِ الأموات رهيناً وفي ضيق المضجع وحيداً، قد هتكت الهوام جلدته... وعفَتِ العواصف آثارَه، ومحا الحدثان معالمه،... أوَلستم أبناءَ القوم والآباء، وإخوانهم والاقرباء؟ تحتذون أمثلَتهم، وتركبون قَدَّتهم، وتطُؤون جادَّتَهم، فالقلوب قاسية عن حظها، لاهية عن رشدها، سالكة في غير مضمارها، كأن

المعني سواها! وكأن الرشد في احراز دنياها!!»[1].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً في نفس السياق: «وإنّما الدنيا منتهى بصر الأعمى، لا يبصر مما وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره، ويعلم أن الدار وراءها، فالبصير منها شاخص، والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متزود، والأعمى لها متزود»[2].

إنّ الأعمى هو الذي لا يخترق بصره الدنيا، فيقف عندها، ويتعلق بها، فالدنيا «منتهى بصر الأعمى»، وأما البصير فهو الذي يخترق بصره الدنيا، ويرى عاقبتها، ويرى الدار الآخرة، فلا يتوقّف عندها، ويعتبر بها، ويرحل عنها.

ولابن أبي الحديد شارح «نهج البلاغة» شرح جيد لهذه الفقرة غير ما ذكرنا، يقول: «شبه الدنيا وما بعدها بما يتصوّره الأعمى من الظلمة التي يتخيّلها، وكأنها محسوسة له، وليست بمحسوسة على الحقيقة، وإنما هي عدم الضوء، كمن يطّلع في جُبّ ضيّق فيتخيّل ظلاماً فإنه لم ير شيئاً، ولكن لما عدم الضوء، فلم ينفذ البصر تخيل أنه يرى الظلمة، فأما من يرى

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٣.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٣.

المبصرات في الضياء، فان بصره ينفذ فيشاهد المحسوسات يقيناً، وهذه حالة الدنيا والآخرة: أهل الدنيا منتهى بصرهم دنياهم، ويظنون أنهم يبصرون شيئاً وليسوا بمبصرين على الحقيقة، ولا حواسهم نافذة في شيء، وأهل الآخرة قد نفذت أبصارهم فرأوا الآخرة ولم يقف احساسهم على الدنيا خاصة، فأُولئك هم أصحاب البصائر على الحقيقة»[1] وهذا معنىً شريف من معاني الطريقة والحقيقة.

الطريقة الصحيحة للرؤية:

إنّ للرؤية كأي فعل آخر من أفعال الإنسان أساليب ومناهج، منها الصحيح ومنها الخطأ، والقرآن يوضح لنا، فيما يوضح من مناهج السلوك والعمل، المنهج الصحيح للرؤية، يقول تعالى: ﴿**وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾[2]، و«تمديد النظر» طريقة من النظر والرؤية، وهي أن يمد الإنسان نظره إلى ما رزق الله تعالى الناس من رزق، وفي هذا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٢٧٦.
(٢) طه: ١٣١.

«المد» معنى «التجاوز» وكأنما الإنسان يتجاوز بنظره عما رزقه الله تعالى من رزق إلى ما رزق الآخرين من عباده من زهرة الحياة الدنيا. . وهذه رؤية مذمومة.

وهذا «التمديد» في النظر مصدر عذاب الإنسان ومعاناته... فهو يتمنى ما لم يرزقه الله، ويسعى نحوه، فإذا رزقه الله تعالى تمنّى غير ذلك مما لم يرزقه الله تعالى، ورزق الآخرين من عباده... ويستمر الإنسان في ملاحقة الدنيا ومساعاتها - كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام[1]، والركض وراءها، فيطول عذابه فيها، ولا ينال منها غايته.

إن هذه الطريقة من النظر إلى الدنيا تورث الإنسان الحسرة والتلهّف على ما في أيدي الناس، على العكس تماما مما لو نظر الإنسان (بالدنيا) وليس (إليها) واتخذ الدنيا مرآة، ينظر بها الى إفتتان الناس بها، واستغراقهم فيها، وهلاكهم، وسقوطهم بسببها، فإنّه لا يغتر بالدنيا، ويتجمّل في طلبها، ولا يفتنه ما رزق الله أزواجاً منها فيها من زهرة الحياة الدنيا، ليفتنهم به، فيتعفف عما في ايدي الناس ويترفع عنه.

---

(١) يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من ساعاها فاتنة، ومن قعد عنها واتته» نهج البلاغة خطبة: ٨٢.

وغني عن البيان أن نظرة الاستغناء والتعّفف والترفّع عما في أيدي الناس، وعدم الانشداد به لا يعني القعود عن السعي والعمل والتحرّك في ساحة الحياة، فإن الإنسان المسلم يسعى ويتحرك، ولكن ليس من منطلق التلهّف على ما في أيدي الناس، وإنّما ليكسب الرزق من عند الله.

إذن لطريقة النظر إلى الاشياء دور كبير في سلامة النفس وتلوثها، فقد تلوّث النظرة روح الإنسان، وتخلق له عذاباً ومعاناة طويله «رُبَّ نظرة تورث حسرة»[1]، وقد تكون النظرة أساساً ومنطلقاً لاستقامة الإنسان وتقويم سلوكه.

ان الإسلام لا يمنع من النظر، ولكن يعلّمنا كيف ننظر إلى الأشياء.

ثم يقول علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

«أن الأمور الواردة عليكم في كل يوم وليلة من مظلمات الفتن وحوادث البدع وسنن الجور وبوائق الزمان، وهيبة السلطان لتثبط القلوب وتذهلها عن الهدى ومعرفة أهل الحق الا قليلا ممن عصم الله».

---

(١) وسائل الشيعة ١٤: ١٣٨، فروع الكافي ٥: ٥٥٩ وميزان الحكمة مجلد ١٠.

الفتن التي تسلب بصائر الناس في كلمات زين العابدين عليه السلام:

هذه النقاط التي يذكرها الإمام علي بن الحسين عليهما السلام مفردات فتنة واسعة شاملة: مثل شيوع البدع في الدين وانتشار الظلم والجور، والعدوان، وبوائق (شرور) الزمان وهيبة السلطان الكاذبة الجائرة.

هذه مفردات من الفتنة التي تلم بالناس، فتسلبهم بصائرهم ووعيهم، وتطبع على قلوبهم، فلا ينفذ إليها نور ولا هدى.

وقد وقع مثل هذه الفتنة صدر الاسلام واخب عنها رسول الله صلى الله عليه وآله أمته عنها أمته من بعد وفاته.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل»[1].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله «ويل للعرب من شر قد اقترب، فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، يبيع

(١) مسند احمد: ٢٠٤/٢ دار صادر بيروت.

قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل»[1].

وروى البخاري في كتاب الفتن من الجامع الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله «انا فرطكم على الحوض. ليرفعن الى رجال منكم حتى اذا هويت لاناولهم اختلجوا دونى (أي أُنتزعُوا مني وابعدوا عني) فاقول: أي رب اصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[2].

وعن فتنة بني أمية يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الا وإنَّ بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله، والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة، ولتغربلن غربلة، حتى يعود اسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم»[3].

---

(١) مسند احمد: ٢٠٩/٢ وراجع في نفس المصدر: ٢٩١/٢ و٥٢٣/٢ و٤٥٣/٣ و٤٨٩/٣ و٢٧٢/٤ و٤٠٨/٤ و٤١٦/٤ و٢٩١/٥ و٨١/٦ وغير ذلك من المصادر.

(٢) صحيح البخاري كتاب الفتن باب(١) ح ٧٠٤٩ وبنفس السياق والمعنى صحيح البخاري كتاب الفتن باب (١) ح ٧٠٥٠ ونفس المصدر ح ٤٧٤٠ وح تسلسل ٣٣٤٩ و٣٤٤٧ و٤٦٢٥ و٤٦٢٦ و٦٥٢٥ وصحيح مسلم: ١٥٧/٨ دار الفكر و٢١٧/١ و١٧٩٦/٤ و١٨٠٠/٤ وغيرها من المصادر.

(٣) بحار الأنوار:: ٢٧٨/٥ ونهج البلاغة الخطبة ١٦.

ويقول عليه السلام في نفس السياق عن الفتن الاجتماعية والسياسية: «والله لتمحّصن والله لتغربلن، حتى لا يبقى منكم إلا نزر»[1].

وإذا هبّت رياح الفتنة على قوم أعمتهم وأصمتهم وسلبتهم وعيهم وبصائرهم.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام عنها: «إنّ الفتن إذا أقبلت شبّهت واذا أدبرت نبّهت يُنَكرنّ مقبلات ويعرفن مدبرات، يحمن حول الرياح يصبن بلداً، ويخطئن بلداً»[2].

ان الفتن اذا اقبلت يسلبن الناس بصائرهم فيلتبس عليهم الحق والباطل، ويشتبه الحق بالباطل والباطل بالحق، فلا يميزون بينهما (إذا اقبلت شبهت) واذا انحسرت الفتنة عن بلد رجع الى الناس رشدهم ووعيهم (اذا ادبرت نبهت، ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات).

ويقول عليه السلام عن فتنة بني أمية (إنّها فتنة عمياء صماء مطبقة مظلمة، عمت فتنتها، وخصت بليتها، أصاب البلاء من أبصر

---

(١) بحار الأنوار: ٢١٦/٥.

(٢) نهج البلاغة: ١٨٣/١ من خطبة له يذكر فيها ما كان من تغلبه على الخوارج وما يصيب الناس من بني أمية وهي الخطبة ٩٣.

فيها، وأحظأ البلاء من عمى عنها، أهل باطلها ظاهرون على أهل حقها، يملأون الأرض بدعاً وظلماً وجوراً)[1].

وهو كلام عجيب يستوقف الإنسان.

هي فتنة عمياء صماء مطبقة مظلمة، تسلب الناس بصائرهم (عمياء) وتسلب الناس اسماعهم (صماء)، ومطبقة مظلمة، لا ينفذ اليها النور والهدى، كانما السماء أطبقت على الأرض.

تعم الفتنة فيها الجميع أصحاب البصائر، والعمى الصم كلهم.

فيكون الابتلاء والمعاناة والعذاب والقتل والمطاردة فيها من خط اصحاب الأبصار (أصاب البلاء من أبصر فيها)، وهو ضريبة البصيرة والوعي.

وأمّا العُمْى الصُمْ إلبكم فحظهم فيها العافية في الدنيا، وإن كانت تُخْطأهم احياناً.

وفي هذه الفتن يظهر أهل الباطل (العمى، الصم، البكم)

---

(١) كتاب سليم بن قيس تحقيق محمد باقر الانصاري ص ٢٥٧ وباختلاف يسير نهج البلاغة الموضع المتقدم خط٩٣.

على أهل أصحاب الحق (أهل البصائر)... هذا هو التصور العلوي لفتنة بني أمية.

كيف تتكون الفتنة:

إن الفتن تهب كالاعصار تصيب بلداً وتنحرف عن أخرى وقد قرأنا لأمير المؤمنين عليه السلام قبل قليل: (ان الفتن كالرياح يصبن بلداً ويخطئن أخرى)[1].

فإذا أصابت بلداً سلبتهم بصائرهم ووعيهم، وعمّتهم الفتنة جميعاً أصحاب البصائر منهم والعُمْى الصُمْ اليكُمْ...

ولماذا تصيب بلداً وتخطى أخرى؟

لأن رياح الفتنة تطلب البلاد التي يعصي الناس فيها الله تعالى.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام (أيّها الناس انما بدأ وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله، يتولى فيها رجال رجالاً)[2].

إن الذنوب والمعاصي والمنكرات إذا انتشرت في بلد

---

(١) الغارات للثقفي: ١٠/١٠.

(٢) نهج البلاغة الخطبة رقم ٥.

وشاعت وعمّتهم تنزل عليهم الفتنة لا محالة فيفتنون.

وفي هذه الفتن يظهر أهل الباطل على أهل الحق، ويكون فيها البلاء خاصاً بأصحاب البصائر، ويتمتع فيها اصحاب الباطل بالعافية في دينهم.

وهذه هي الفتنة التي يحدثنا عنها علي بن الحسين عليه السلام بعد مصرع الحسين عليه السلام في هذا الخطاب، وهي التي كان يخافها أمير المؤمنين عليه السلام، ويحذر الناس منها... يقول عليه السلام:

إلا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها[1] وخصت بليتها[2] وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمى عنها[3] وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي. كالناب الضروس[4] تعذم

---

(١) خطتها أي امرها بمعنى ان امر هذه الفتنة تعم الجميع لان بني امية حكموا العالم الاسلامي عامة الف شهر.

(٢) يعني البلاء والمعاناة والعذاب والمضايقة والمطاردة فيها خصت أصحاب البصائر فهي ضريبة الوعي والبصيرة في ظروف الفتنة.

(٣) اما من عمى عن الفتنة فان حظّهم فيها العافية. فهم يسكتون عنها ويسلمون فيها.

(٤) الناب الناقة المسنة والضروس: السيئة الخلق.

بفيها[1] وتخبط بيدها، وتزين برجلها[2] وتمنع درها[3] لا يزالون بكم حتى لا يتركون منكم إلا نافعا لهم أو غير ضائر بهم، ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون إنتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه[4] والصاحب من مستصحبه[5] ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية[6] وقطعا جاهلية، ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى.

والإمام زين العابدين عليه السلام يتحدث عن هذه الفتنة بالذات، فقد عاش كل معاناتها ومرارتها وضراوتها.

كيف يسلم الناس من الفتنة:

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في كلامه السابق:

---

(١) تعذم بفيها من عذم الفرس: اذا اكل بجفاء أو عض.
(٢) وترين برجلها اي تضرب برجلها.
(٣) وتمنع دَرّها اي تمنع لبنها: اي خيرها.
(٤) اي انتصار العبد من مولاه... وما هو قادر على ذلك. فإنه عبده ولا بد له من طاعته.
(٥) اي التابع من متبوعه، ومتى يستطيع التابع الذليل ان ينتصر على متبوعه وقائده.
(٦) شوهاء قبيحة، ومخشية: مخيفة ومرعبة.

«فليس يعرف تَصَرُّم أيامها، وتقلب حالاتها، وعاقبة ضرر فتنتها إلا من عصم الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد، ثم استعان على ذلك بالزهد. فكرر الفكر، وإتعظ بالصبر، فازدجر، وزهد في عاجل بهجة الدنيا، وتجافى عن لذاتها، ورغب في دائم نعيم الآخرة وسعى لها سعيها، وراقب الموت، وشنا الحياة مع القوم الظالمين».

وهذه النقاط التي يذكرها الإمام زين العابدين عليه السلام هي سفن النجاة في مضلات الفتن التي يفقد فيها الناس بصائرهم واسماعهم ووعيهم:

إنّ الذين يسلمون في هذه الفتن هم الذين يعصمهم الله من مضلات الفتن.

وأولئك هم الذين نهجوا سبيل الرشد، وسلكوا طريق القصد... فلم يتخبطوا في سيرهم وحركتهم، ولم ينحرفوا عن الصراط المستقيم الذي رسمه الله تعالى لهم.

واتقوا الله تعالى في مضلات الفتن فإن العبد اذا اتقى الله تعالى عصمه الله في مضلات الفتن وحفظه من العمى والصمم الذي يصيب سائر الناس.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اعلموا انه من يتق الله يجعل له

مخرجا من الفتن ونوراً من الظلم»[1].

والتقوى سفينة النجاة، يشق بها الإنسان أمواج الفتن.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«يا ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة»[2].

وكما ان الفتن تأتي بأهواء تتبع، واحكام تبتدع كذلك في المقابل يسلم الإنسان من امواج الفتن بالتقوى.

ومن سفن النجاة في الفتن: القرآن

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «اذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن إنه شافع مشفع، وما حل مصدق. من جعله أمامه قادة الى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه الى النار».

وهذان هما سبيلاً الرشد وطريقاً القصد في الفتن (القرآن والتقوى).

ثم يعلمهم زين العابدين عليه السلام بعد ذلك، أن يستعينوا على الفتن بالزهد فإن الزهد يحفظ الإنسان من الانغماس في الدنيا والافتتان بها، الذي هو رأس مصائب الإنسان ومن أعظم

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٨٣.

(٢) نهج البلاغة خطبة رقم ٢.

مصادر الفتن.

ثم يأمرهم بالتفكير والتأمل والتدبر (فكرر الفكر).

وقد جعل الله تعالى سلامة الإنسان في التفكير والتأمل والتدبر وإنما رزق الله تعالى الإنسان العقل والفكر وامكنه من التفكير والتدبير ليعصم نفسه من مضلات الفتن ويحفظ نفسه من السقوط فيها.

ويواصل الإمام علي بن الحسين عليه السلام في هذا السياق مكانه عن معاقل النجاة عند تهب على الناس رياح الفتنة.

الاعتبار بالتاريخ:

ثم يقول علي بن الحسين عليهما السلام:

انظر الى ما في الدنيا بعين نيرة، حديدة البصر (النظر)، وأبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك الظلمة، فلقد لعمري استدبرتم الامور الماضية في الأيام الخالية من الفتن المتراكمة والانهماك فيها... ما تستدلون به على تجنب الغواة واهل البدع والبغي والفساد في الأرض بغير الحق.

اقرأوا الحاضر من خلال الماضي... ان الماضي مليئ بالعبر... فاعتبروا لحاضركم من الأيام الخالية... إنّ أصحاب البصائر يقرأون حاضرهم في الماضي، ومن خلال كتب

التاريخ، ويجدون في تاريخ الامم السابقة وتاريخ هذه الأمة، وما وقع فيه من جور الملوك وطغيانهم ثم هلاكهم وسقوطهم دليلاً على حاضرهم.

وفي القرآن تاكيد بليغ على رؤية الحاضر والمستقبل من خلال الماضي، وإن قراءة الماضي ليس للتسلية، ولا للتكاثر والتفاخر، وإنما للاعتبار.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾يوسف/١١١.

نقاط ثلاثة في كلام الإمام عليه السلام:

وفي كلام الإمام عليه السلام نقاط ثلاثة:

النقطة الأولى أن ننظر الى الدنيا بعين ثاقبة، نافذة البصيرة، لا يحجبها سطح الاحداث عن النفوذ الى اعماقها والوصول الى دلالاتها... فإن في أنظار الناس أنظار بليدة تقف عند سطح الحوادث، ولا تنفذ الى اعماقها ودلالاتها، وتنبهر ببريق الفتن والاعلام.

ومن الأنظار أنظار ثاقبة نافذة لا تنبهر ببريق السلطان والمال والموقع، وتنفذ الى الاسباب والنتائج (البدايات والعواقب).

وهذه النظرة الثاقبة النافذة المستعلية على فتن الدنيا هي التي يعلمنا القرآن تجاه التاريخ.

يقول تعالى: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ طه/١٣١.

يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام في هذا المعنى «فانظر الى ما في الدنيا بعين نيرة حديدة البصر».

وفي النقطة الثانية يعلمنا الإمام ان ننظر الى التاريخ بهذه النظرة الثاقبة النافذة.

(وأبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك والظلمة).

واحذروا أن يحجبكم الحاضر عن الماضي. فلرب حدث وفتنة في الحاضر لا تستطيع أن تقرأها وتفهمها وتعالجها وتفهمه الا من خلال الماضي... إنّ قراءة الماضي قراءة واعية جزء من مكونات الثقافة الإسلامية.

وليس بوسع الإنسان ان يكسب وعي سنن الله في المجتمع الا من خلال التاريخ... ومن يقرء التاريخ وينظر فيه بنظرة ثاقبة واعيه، فكانما عاش التاريخ كله وتزود بتجاربه وخبراته.

وهذه المعايشه الواعية للتاريخ، والنظره الواعية الى حوادث التاريخ يأمر بها القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأرض فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ آل عمران/١٣٧.

﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأرض فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ النمل/٦٩.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصية لابنه الحسن عليه السلام انه قد سبر التاريخ، ونظر في أعمال الناس من قبله، حتى كأنه عاش معهم واكتسب في هذه المعايشة والنظرة الواعية تجربة القرون الخالية.

يقول عليه السلام:

«أي بُني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إليَّ من أمورهم قد عمرت مع أولهم الى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر

نخيله، وتوخيت لك جميلة وصرفت عنك مجهوله»[1].

وعن هذه النظرة الواعية الى التاريخ يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (أبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك والسلاطين).

والكلمة الثالثة ان يتخذ الإنسان عبر الماضي دروساً للحاضر، ويرسم حاضره وتعامله مع الدنيا وفتنها من خلال عبر الماضي.

ان عبر الماضي، اذا وعاها الإنسان يمكن ان يتحول الى ثقافة يتعاطاها الإنسان في التعامل مع الحياة الدنيا وفتنها.

ولنستمع ال زين العابدين عليه السلام:

«فلقد لعمري استدبرهم من الامور الماضية في الأيام الخالية من الفتن المتراكمة والانهماك فيها ما تستدلون به على تجنب الغواة واهل البدع والبغي والفساد في الاض بغير الحق».

---

(١) تحف العقول: ٧١، وبحار الأنوار: ٢١٩/٧٤ ونهج البلاغة من وصيته لولده الحسن عليه السلام: ٤١/٢ تحقيق الشيخ محمد عبده.

المكاشفة والخطاب الذاتي

في تراث الإمام زين العابدين عليه السلام

في تراث الإمام زين العابدين عليه السلام الوعظي نلتقي لوناً جديداً من خطاب النفس، والمكاشفة الذاتية، نسميه بـ(الخطاب الذاتي) أعني خطاب الإنسان لنفسه، مقابل خطابه لغيره.

وللإنسان خطابان خطاب يخاطب به الغير وخطاب يخاطب به نفسه، وهذا نوع جديد من أدب الخطاب والموعظة نجده على الأقل في ثلاث نماذج من كلامه عليه السلام.

وهو خطاب جديد على أدب الخطاب والموعظة.

وخطاب الإنسان لنفسه أو (الخطاب الذاتي) شكل من أشكال العلاقة بالنفس، أو (العلاقة الذاتية)، مقابل العلاقة بالله تعالى، والعلاقة بالآخرين، والعلاقة بالأشياء والأفكار، وهي بعد العلاقة بالله تعالى أهم العلاقات وأخطرها في حياة الإنسان.

والقرآن فيما نعلم أول كتاب فتح على العقل الإنساني هذا الباب الواسع من الثقافة النفسية، ولا أعرف قبل القرآن ثقافة تناول هذه العلاقة بشكل واضح ومنظم ومنهجي.

وقد تحدثت عن هذه العلاقة من خلال القرآن الكريم في كتاب (في رحاب القرآن الجزء الرابع، ص١٩١) تحت عنوان (العلاقة الذاتية)، قلت فيه:

العلاقة الذاتية في القرآن:

(والعلاقة بالنفس هي واحدة من هذه العلاقات الأربعة، وهي أهمها بعد العلاقة بالله تعالى. وأكثرها تعقيداً، وظرافة، ورقة، وهي كذلك قد تتصف بالإيجاب، وقد تتصف بالسلب.

فقد يجهل الإنسان نفسه، وقيمته فيكون كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّماوَاتِ وَالأرض وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ الأحزاب: ٧٢.

يعني جاهلاً بنفسه وقيمتها ظالماً لها.

وقد يكون الإنسان من الذين أراهم الله تعالى أنفسهم، وفقههم بقيمتها، وعرّفهم بآياته فيها. يقول تعالى:

﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ فصلت: ٥٣.

فيعرف الإنسان قيمة نفسه ويحترمها.

وقد يحتقر الإنسان نفسه، وما آتاه الله تعالى في نفسه من المواهب.

وقد يفرّ الإنسان من نفسه، ويتهرّب منها إلى ألوان من اللهو الذي يشغله عن نفسه، أو إلى المخدرات والانتحار.

وقد يعرف الإنسان كيف يواجه نفسه على أرض الواقع بجدية وواقعية.

وقد يكون الإنسان منسجماً مع نفسه.

وقد يكون في علاقته بنفسه قلقاً مرتبكاً.

وقد يكون محباً لنفسه.

وقد يكون عدواً لها.

وقد يكون ذاكراً لنفسه، وقد يكون ناسياً لها.

وقد يكون قابضاً على نفسه متمكناً منها.

وقد تغلبه نفسه وتتمكن منه.

وقد ينطوي على نفسه.

وقد تكون نفسه منفتحة.

وقد يهلكها وقد يحييها. يقول تعالى: ﴿**وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ**﴾ الأنعام: ٢٦.

وقد يصدق مع نفسه، وقد يغرها ويمنّيها، ويخادعها،

ويغشّها، يقول تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ الأنعام: ٢٤.

وقد يعترف لنفسه بالخطأ وينقد نفسه، وقد يغالطها ويبرّر اخطاءها وأهواءها.

وقد يطلق لنفسه العنان في شهواتها، وقد يمسكها بقوّة عند حدود الله. ويضبط تصرفاتها.

وقد يترك نفسه لهواها فيما تطلب من الراحة والاستغراق في الأهواء والشهوات، وقد يتعبها ويجهدها في ابتغاء كمالها ونموها.

وقد يسمو بنفسه، وقد يسف بها.

وقد يكون غريباً عن نفسه، وقد يأنس بنفسه، ويحلو له أن يخلو بها في التأمل.

وقد تكون علاقته بنفسه علاقة صِدامية، وقد يكون منسجماً مع نفسه متآلفاً معها إلى أمثال ذلك من ألوان العلاقة السلبية والإيجابية في علاقة الإنسان بنفسه.

والعلاقة بالنفس رقيقة تخفى على الإنسان غالباً، فلذلك لا يشعر الإنسان بفداحة الخسارة التي يتحملها عند ما تكون هذه العلاقة سلبية.

فقد يخسر الإنسان في تجارته مالا قليلا أو كثيراً فيشعر

بها، ويشعر بفداحة هذه الخسارة، ويحاول أن يستعيد المال الذي خسره، ويعوضه. ولكن قد يخسر الإنسان نفسه، وهو من أعظم أنواع الخسران فلا يحس بذلك، ويتحول من خسارة إلى خسارة أخرى، حتى يخسر نفسه كلها... فلا يعبأ بها.

يقول تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ**﴾.

ويقول تعالى: ﴿**الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاَيُؤْمِنُونَ**﴾ الأنعام: ٢٠.

وقد يظلم الإنسان غيره فيحسُّ بذلك وتؤنبه نفسه، ويحاول أن يجبر ظلمه للآخرين بالعدل والإحسان إليهم، ولكن قد يظلم نفسه، ويعتدي عليها فلا يشعر بهذا الظلم.

يقول تعالى: ﴿**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ آل عمران: ١١٧.

وقد يهلك الإنسان نفساً زكية فيشعر بعِظَمِ الإثم، ولكن قد يهلك الإنسان نفسه فلا يشعر بمثل هذا الإثم.

ويقول تعالى: ﴿**وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ**﴾ الأنعام: ٢٦.والضرر الذي يلحق الإنسان إذا كانت علاقته بنفسه سلبية لا يشبهه ضرر آخر إلا الضرر الّذي يلحق به إذا كانت علاقته بالله تعالى سلبية.

وعلاقة الإنسان بنفسه تدرس اليوم ضمن الدراسات النفسية والتحليل النفسي باهتمام، ولكن في إطار محدود، ولن نجد قبل القرآن اهتماماً أو انتباهاً إلى هذه العلاقة وأهميتها، وقيمتها في حياة الإنسان، والى وقت قريب جداً لم تكن الدراسات النفسية والإنسانية قد فتحت ملف هذه العلاقة بعد، والقرآن بحق الفاتح الأول لهذا الافق الواسع من العلاقات الإنسانية)[1].

السجال الذاتي والشرود عن الذات:

في مقابل الخطاب الذاتي، والتفاهم والانسجام مع الذات هناك حالتان متعبتان للإنسان:

حالة السجال الذاتي، وهي حالة الإنسان عندما يدخل في خلاف وشجار وسجال لذاته، ولا يتمكن من ان يدخل في مصالحة ووئام مع نفسه وهي حالة يشقى بها كثير من الناس، وتتعب صاحبها وتسلبه الراحة النفسية التي هي من أعظم نعم الله على الإنسان.

وقد يملك الفقير العديم هذه الموهبة الالهية (الراحة

(١) في رحاب القرآن: ١٩٤/٤-١٩٦، ط سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

النفسية) ولا يملكها ذو السلطان والمال والقوة... وليس المال والسلطان والقوّة هو الذي يسلب الإنسان الراحة والسعادة النفسية، ولكن منهج توظيف المال والقوة والسلطان هو الذي يسلب الإنسان راحته النفسية وسعادته[1].

والحالة الأخرى التي ترهق الإنسان هي: الشرود النفسي وهو المرض النفسي الشائع في عصرنا يؤدي بالإنسان الى الشرود عن نفسه تغييبه عنها.

وهو من نتائج الحضارة المادية المعاصرة التي تحجب الإنسان عن نفسه، وتغيبه عنها.

الغربة عن الذات:

وهو شر أنواع (الغربة)... فمن الغربة ان يغترب الإنسان عن اهله وزملائه واصدقائه ومجتمعه فيعيش بين الناس، وكانه غريب لا يعرف أحداً ولا يعرفه احد، ولا يأنس بأحد

(١) وليس معنى الانسجام الذاتي والوئام مع النفس ان لا يحاسب الإنسان نفسه ولا يعاتبها. فإن حالة الحساب والعتاب للنفس، إمارة الصحة النسفية والعافية والحالة المتعبة هي حالة السجال والشجار داخل النفس. وهي تختلف عن حالة الحساب والعتاب.

ولا يستأنس به أحد، كما لو كان الإنسان مسافراً، بعيداً عن أهله ومجتمعه وأصدقائه في بلد غريب، يعيش في الفنادق وليس في بيته...

ولكن. شر أنواع الغربة هو أن يعيش الإنسان غريباً عن أقرب النفوس اليه، وهو نفسه التي بين جنبيه، ويحجبه عنها حجاب غليظ.

وهي كذلك من نتائج الحضارة الماديّة المعاصرة، فهي تطمر فطرة الإنسان وضميره وعواطفه، بل وعقله احيانا، ويوجه الإنسان الى أن يتنكر لها... ثم يتحول هذا التنكر الى حجاب بينه وبين نفسه.

وهو نوع من العقوبة الالهية للحضارات الماديّة التي تتنكر للمواهب الروحية والنفسية التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان، فيعاقبهم الله بذلك وينسيهم أنفسهم...

وتأتي هذه العقوبة الإلهية للانسان من سنخ الجريمة.

يقول تعالى: ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ**﴾ (الحشر: ١٩).

والعقوبة هنا من سنخ الجريمة وهذه هي حالة الشرود عن الذات.

ولقد كان الحسين عليه السلام يقول للناس الذين وقفوا يوم عاشوراء لقتاله «ارجعوا الى انفسكم فعاتبوها».

ولابد للناس الذين تقتطع منهم الحضارة الماديّة أنفسهم وضمائرهم وفطرتهم وقلوبهم من ملجأ يلوذون به لينسيهم أنفسهم وقد وفرّت الحضارة المادية المعاصرة للإنسان المعاصر الذي يعيش هذه الحضارة، هذا الملجأ الذي يشرد اليه الناس من انفسهم في المخدرات والسكر والطرب واللهو للفرار عن انفسهم، وإنما يسميها الاسلام لهواً لانها تلهي الإنسان وتشغله عن نفسه.

الدعوة الى العودة الى النفس:

وفي ثقافة الإسلام دعوة موكدة ومكررة الى العودة الى الذات، وإزالة حجب الغربة بين الإنسان ونفسه، وتمكين الإنسان من معرفة نفسه ومكاشفتها ومحاسبتها.

ويحضّ القرآن الناس على أن يبصروا انفسهم ويتدبروها، ويبصروا فيها آيات الله العظيمة. يقول تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فصلت/٥٣.

ويقول تعالى: **﴿وَفِي الأرض آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾** الذاريات/٢٠-٢١.

معرفة النفس:

ومعرفة النفس جُلَّ المعرفة او كل المعرفة.

فمن يعرف نفسه كفاه ذلك عن كل معرفة، ومن جهل نفسه لم تسعفه معرفة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «كفى بالمرء معرفة أن يعرف نفسه، وكفى بالمرء جهلاً أن يجهل نفسه».

وعنه عليه السلام أيضاً في نفس السياق:

«من عرف نفسه كان لغيره أعرف، ومن جهل نفسه كان بغيره اجهل»

وفي نفس السياق عنه عليه السلام:

«من عرف نفسه فقد انتهى الى غاية كل معرفة وعلم»

وليس في حياة الإنسان خسارة أعظم من أن يخسر نفسه ويضيعها، وتضيع عنه، فلا يطلها، وليس في حياة الإنسان جهالة أعظم من أن يجهل الإنسان نفسه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«عجبت ينشد ينشر ضالته، وقد أضل نفسه فلا يطلبها»

أقصر السبل الى معرفة اللّه:

ومعرفة النفس أقصر السبل لمعرفة الله فمن فقد هذا

السبيل يطول طريقة الى معرفة الله.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «عجبت لمن يجهل نفسه، فكيف يعرف ربه».

وعنه عليه السلام أيضاً: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

وعنه عليه السلام: «من عرف نفسه، فقد إنتهى إلى غاية كل معرفة وعلم».

وكما إن معرفة النفس هو السبيل المفضل للانسان الى معرفة الله، كذلك هو السبيل لاصلاح نفسه وتهذيبها وتجريدها عما يفسدها ويعطلها.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرف نفسه تجرد»

أي تجرد عن التعلق بالدنيا وفتنها.

وعنه عليه السلام ايضاً: «من عرف نفسه جاهدها ومن جهل نفسه اهملها»

«ومن عرف نفسه جَلّ امره» أي تسامى وترفع

«ومن لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاة وخبط في الضلالات والجهالات»

وعنه عليه السلام: «نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس».

وعنه عليه السلام أيضاً: «العارف من عرف نفسه».

وعنه عليه السلام: «أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربّه».

وهذه الكلمة مقتبسة من قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**﴾ فاطر/٢٨.

محاسبة النفس:

والذي يرزقه الله الانفتاح على نفسه لا بد له من محاسبة نفسه.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا»[1].

ولا بد للإنسان أن يُفُرّغ من يومه وقتاً يتفرغ فيه لمحاسبة نفسه، ولو يسير؟.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أحق بالإنسان أن تكون له ساعة لا يشغله شاغل يحاسب فيها نفسه فينظر فيما اكتسب لها وعليها».

«وكان فيما وعظ الله به بنيه عيسى بن مريم عليهما السلام يا عيسى

---

(١) هذه الكلمة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام.

راجع المصادر التالية: مصباح الشريعة: ٣٥، أعلام الدين في صفات المؤمنين مجموعة ورّام: ٣٠٧/١، بحار الأنوار: ٣١٠/٤ و٧٣/٦٧ و٢٦٥/٦٨.

لا تـأمن اذا مكـرت مكـرى، ولا تـنس عنـد خلـوات الـدنيا ذكرى. يا عيسى حاسب نفسك بالرجوع الي حتى تتنجز ثواب ما عمله العاملون»[1].

وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر:

«يـا أبـا ذر حاسـب نفسـك قبـل ان تحاسـب، فإنـه أهـون لحسابك غـداً، وزن نفسـك قبـل ان تـوزن، وتجهـز للعـرض الاكبر، يوم تعرض، لا تخفى على الله خافية»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«جاهد نفسك وحاسبها محاسبة الشريك شـريكه، وطالبهـا بحقوق الله مطالبة الخصم خصمه، فإنّ اسعد الناس من انتدب لمحاسبة نفسه»[3].

وبالمحاسبة يتمكن الإنسان من اصلاح نفسه.

عـن أميـر المـؤمنين عليه السلام: «ثمـرة المحاسـبة اصـلاح

---

(١) الكافي: ١٣٧/٨ ح١٠٣.

(٢) امالي الشيخ الطوسي: ٥٣٤.

(٣) مستدرك الوسائل: ١٥٤/١٢-١٥٥.

النفس»[1].

خطاب المكاشفة الذاتية:

هذا الخطاب إنفتاح على الذات، على طريقة المكاشفة. فإنّ الإنسان يدفع الخواطر والذكريات التي تؤذيه وتنغضه الى غيابات اللاشعور، ويغيبها عن منطقة الشعور حتى لا تسلبه راحته النفسية فيكون مثل الإنسان في مثل هذه الحالة مثل طائر (القبج) يدس رأسه في الثلج حتى لا يرى الصياد. فيأتي عليه الصياد ويقبض عليه.

والمكاشفة الذاتية بعكس ذلك تماما يحضر للانسان هذه الخواطر والذكريات ليعالجها. وهذه العملية وان كانت مرهقة للانسان من الناحية النفسية، ولكن هذا الارهاق خير للانسان من الراحة النفسية الكاذبة التي لا تنغصها هذه الخواطر عندما يغيبها الإنسان في ظلمات اللاشعور.

لم يكن هذا الخطاب معروفاً في الادبيات الوعظية وهو

(١) الكلمات القصار التي رويناها عن أمير المؤمنين عليه السلام يروي الشطر الأكبر منها الآمدي في غرر الحكم والسيد الرضي في نهج البلاغة قسم الحكم.

نوع من أنواع (النجوى) مع النفس، طرفاها نفس الإنسان، يوبخها ويعظها ويحذرها ويعاتبها وينذرها.

وهذه المكاشفة لا تجري بين طرفين مختلفين، كما نفهم نحن من هذه الكلمة، وانما تجري داخل النفس بين الإنسان ونفسه، عندما يخلو الإنسان بنفسه.

الخلوات النافعة:

وهذه الخلوة (بالنفس) من الخلوات النافعة للانسان والإنسان بحاجة في حياته الى خلوتين.

خلوة بالله تعالى، وخلوة بنفسه.

وفي هاتين الخلوتين يكاشف الإنسان ربه سبحانه وتعالى ويكاشف نفسه بما لا يستطيع ان يكاشف به أحداً من الناس، ويتكتم به عن كل الناس.

والإنسان بحاجة الى هاتين المكاشفتين. فإن التكتم على ما يجري داخل النفس يؤديّ الى إختفاء ما يجري فيها مما يتكتم بها داخل نفسه... الى دهاليز النفس العميقة مما يؤدي الى تعقيدات وأمراض نفسية كثيرة داخل النفس...

فقد يرتكب الإنسان ذنباً وجريمة يؤنبه عليه ضميره، ولا يتمكن أن يكاشف به احداً. وقد يحتاج الى شيء لا يستطيع

أن يفاتح احداً به.

فتختفي هذه الحاجات والمنغضات النفسية في دهاليز النفس العميقة المظلمة، وتتحول في النفس الى تعقيدات وأمراض نفسية.

ولكن الإنسان لا يتكتم بشيء مما يدور في نفسه من ذنوبه وآثامه وحاجاته وطلباته التي يتكتم بها على الناس... لا يتكتم بها على الله ﴿**فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ طه/٧. فلا يخفى على الله تعالى شيء مما يدور في نفسه ويختبئ في اعماق نفسه البعيدة.

ولعلَّ ذلك هو المقصود من كلمة (وأخفى) في هذه الآية الكريمة.

فإن (السِرَّ) ما يخفيه الإنسان عن الآخرين، و(الأخفى) من السر هو ما يدفعه الإنسان الى الطبقات العميقة المعتمة من نفسه ويزويها ويدفعها عن منطقة الشعور الى دهاليز اللاشعور، لئلا ينغض بها. فهو إذن أخفى من (السِرّ).

إذن بوسع الإنسان أن يكاشف الله تعالى بما يتكّتم به عن الآخرين من ذنوبه وقبيح اعماله الذي يكتمه عن الناس.

كما أن العبد لا يحد ضيراً ان يكاشف ربه في حاجاته التي يخجل أن يكاشف به الناس.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله «اسألوا الله عز وجل ما بداخلكم من حوائجكم حتى شسع النعل فإنه إن لم ييسره لم يتيسر»[1].

وعنه صلى الله عليه وآله: «ليسأل احدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله، إذا إنقطع»[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: لا تحقروا صغيراً من حوائجكم، فإن أحب المؤمنين الى الله تعالى أسألهم»[3].

كما فتح الله تعالى لعبده باب التوبة عن ذنوبه وسيّئاته التي تثقل ضميره، ويخجل أن يفاتح بها أحداً من الناس. وقد أذن الله تعالى للإنسان أن يفاتح بها الله عزّوجلّ ويستغفره عنها، فيغفرها له.

اذن فقد فتح الله تعالى على عبده بابين من الرحمة يستطيع العبد من خلالهما، أن يكاشف ربه عز شأنه مكاشفة كاملة، ولا يخفي عليه شيئا مما يتكتم به على الناس.

وهذان البابان: هما باب (التوبة) وباب (الدعاء) وهذه هي

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة: ١٧٢/٥ ح٥٥٩٥.
(٢) مستدرك الوسائل: ١٧٢/٥ ح٥٥٩٥.
(٣) المصدر نفسه: ح٥٥٩٧.

الخلوة النافعة الأولى في حياة الإنسان.

ويبقى نجوى الإنسان مع نفسه، وهو الخلوة والمكاشفة الثانية في حياة الإنسان، وهو أمر يدعو اليه الاسلام ويرغب فيه.

ولا بد للإنسان من هاتين الخلوتين، ومن هاتين المكاشفتين ولا بد له ان يُفَرغ من وقته وعمره كل يوم وقتا للخلوة بالله تعالى ومخاطبته ومناجاته ووقتا للخلوة بنفسه ومكاشفتها.

أبواب التعامل مع الذات:

أبواب التعامل مع النفس، في الثقافة الإسلامية، كثيرة نذكر أهمها.

١- تهذيب النفس وإصلاحها

عن أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الناس تولوا من انفسكم تأديبها واعدلوا بها عن مزاولة عاداتها[1].

وعنه عليه السلام: من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه

(١) نهج البلاغة: الحكمة: ٣٥٩.

قبل تعليم غيره[1].

وعنه عليه السلام: الرجل حيث اختار لنفسه ان صانها ارتفعت وان ابتذلها إتضعت[2].

وعنه عليه السلام: «إشتغالك بمعائب نفسك يكفيك العار»[3].

٢- كف النفس عن أهوائها وشهواتها وضبطها وردعها... وهو (التقوى).

عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تدع النفس وهواها، فإن هواها رداها، وترك النفس وما تهوى أذاها، وكف النفس عما تهوى دواها»[4].

٣- التعامل مع النفس بسلام:

هذا باب يفتحه القرآن على مصراعيه. ولاول مرة، في تاريخ الثقافة النفسية يكشف القرآن عن حقيقة تخفى على الكثير.

---

(١) نهج البلاغة الحكمة: ٧٣.
(٢) غرر الحكم للآمدي: ١٩٠٦٠.
(٣) غرر الحكم للآمدي: ١٤٨٣.
(٤) الكافي: ٣٣٦/٢ ح٤.

وهو أن الناس يظلمون انفسهم. يقول تعالى:

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ فاطر/٣٢.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ آل عمران/١١٧.

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم﴾ يونس/٢٣.

ويقول تعالى: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الأنعام/٢٦.

ويدعو الاسلام الإنسان أن يعيش مع نفسه بسلام، فيستجيب لفطرته وعقله وضميره وعاطفته وروحه، كما يدعوه الى الاستجابة المنضبط لحاجاة جسده وغرائزه وميوله وشهواته في توازن وتعادل، فيعيش مع نفسه في أمن وسلام.

وأساس كل سلام في حياة الإنسان أن يعيش الإنسان في سلام مع الله ومع نفسه. وقد أَمّنَهما الله تعالى لعباده في دينه.

ولنا في خاتمة الصلاة تحيات ثلاثة:

سلام على رسول الله (السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته)

وسلام على انفسنا (والسلام علينا)

وسلام على عباد الله الصالحين (وعلى عباد الله الصالحين)

وسلام الله على المسيح عيسى بن مريم يسلم على نفسه يوم ولد ويوم يموت، ويوم يبعث حيا

﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾ مريم/٣٣.

والآن نستعرض هذا الخطاب الوعظي الذاتي، في كلمات الإمام علي بن الحسين عليه السلام على طريقة مخاطبة النفس ومكاشفتها والانفتاح عليها وندبتها.

والإنسان عادة يندب غيره. وها هنا يعلمنا علي بن الحسين عليهما السلام كيف نندب انفسنا، وأن أحق من يندبه الإنسان نفسه التي بين جنبيه.

وهذا الخطاب ندبة للنفس، من باب المكاشفة نرويها برواية ابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية: ١٣٩/٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤٠٤/٤١ .

وكما يرويها المحدث النوري رحمه الله في الصحيفة الرابعة.

ويرويها إحقاق الحق بتحقيق السيد المرعشي: ٤٨٤/١٩ و١٢٧/٢٨ و٧٨١/٣٣.

والأنوار البهية للشيخ عباس القمي: ١١٩.

والصحيفة السجادية الكاملة للابطحي: ص٥٠١

وبلاغة الإمام علي بن الحسين: ص٧٧

نص الندبة:

واليك: نص الندية:

عن الزهري، قال: سمعت مولانا زين العابدين عليه السلام يحاسب نفسه، ويناجي ربه: وهو يقول:

يا نفس حتام(١) (*) الى الحياة سكونك، والى الدنيا وعمارتها ركونك.

أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك، ومن وارته الأرض من الأُفك(٢) ومن فجعت به من إخوانك، ونقلت الى دار البلى من أقرانك.

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها
محاسنهتم فيها بوال دواثر
خلت دورهم منهم وأقوت(٣) عراصهم
وساقتهم نحو المنايا المقادر
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها
وضمتهم تحت التراب الحفائر

* يأتي توضيح المفردات الغريبة حسب الأرقام المدرجة في النص بعد نهاية النص.

كم خرمت(٤) أيد المنون، من قرون بعد قرون، وكم غيرت الأرض ببلائها، وغيبت في ترابها، ممن عاشرت من صنوف الناس. وشيعتهم الى الارماس(٥):

وانت على الدنيا مكب منافس
لخطائها فيها حريص مكاثر
على خطر تمسي وتصبح لاهيا
اتدري بماذا لو عقلت تخاطر
وإن امرءاً يسعى لدنياه جاهداً
ويذهل عن أُخراه لاشك خاسر

فحتام على الدنيا إقبالك، وبشهواتها اشتغالك، وقد وخطك القتير(٦)، ووافاك النذير، وأنت عما يراد بك ساه(٧)، وبلذة يومك لاه(٨).

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى
عن اللهو واللذات للمرء زاجر
ابعد اقتراب الأربعين تربص
وشيب قذال(٩) منذر لك ذاعر
كانك معنى(١٠) بما هو ضائر
لنفسك عمداً أو من الرشد حائر

انظر الى الأمم الماضية والقرون الفانية، والملوك العاتية

كيف انتسقتهم الأيام، فافناهم الحمام(١١) فامتحت من الدنيا آثارهم، وبقيت فيها أخبارهم:

وأضحوا رميما في التراب وأقفرت
مجالس منهم عطلت ومقاصر
وحلوا بدار الا تزاور بينهم
وأنّى لسكان القبور التزاور؟
فما ان ترى الا قبوراً ثووا بها(١٣)
مسنمة تسفى(١٤) عليها الاعاصر

كم عاينت من ذي عز وسلطان، وجنود وأعوان، تمكن من دنياه ونال منها مناه، فبنى الحصون والدساكر(١٥) وجمع الأعلاق والذخائر:

فما صرفت كف المنية إذ أتت
مبادرة تهوى اليه الذخائر
ولا دفعت عنه الحصون التي بنى
وحفّ بها انهارها والدساكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة
ولا طمعت في الذب عنه العساكر

أتاه من أمر الله ما لا يرد، ونزل به من قضائه ما لا يصد، فتعالى الملك الجبار، المتكبر القهار، قاصم الجبارين، ومبير

المتكبرين:

مليك عزيز لا يرد قضاؤه
حكيم عليم نافذ الأمر قاهر
عنا(١٦) كل ذي عز لعزة وجهه
فكم من عزيز للمهيمن صاغر(١٧)
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت
لعزة ذي العرش الملوك الجبابر

فالبدار البدار(١٨) والحذار الحذار من الدنيا ومكائدها، وما نصبت لك من مصائدها، وتجلى لك من زينتها، وأستشرف لك من فتنها:

وفي دون ما عاينت من فجعاتها
الى دفعها داع وبالزهد آمر
فجد ولا تغفل وكن متيقظاً
فعما قليل يترك الدار عامر
فشمر ولا تفتر فعمرك زائل
وانت الى دار الاقامة صائر
ولا تطلب الدنيا فان نعيمها
وأن نلت منها غبة(١٩) لك ضائر

فهل يحرص عليها لبيب؟ أو يسر بلذتها أريب(٢٠)؟ وهو

على ثقة من فنائها، وغير طامع في بقائها، أم كيف تنام عين من يخشى البيات(٢١)؟ أو تسكن نفس من يتوقع الممات:

ألا لا ولكنا نغر نفوسنا
وتشغلنا اللذات عما نحاذر
وكيف يلذ العيش من هو موقن
بموقف عدل يوم تبلى السرائر
كأنا نرى أن لا نشور(٢٢) واننا
سدى مالنا بعد الممات مصادر

وما عسى أن ينال طالب الدنيا من لذّاتها، ويتمتع به من بهجتها، ومع فنون مصائبها، وأصناف عجائبها، وكثرة تعبه في طِلابها، وتكادحه في اكتسابها، وما يكابد من أسقامها وأوصابها(٢٣) وآلامها:

وما قد نرى (٢٤) في كل يوم وليلة
يروح علينا صرفها(٢٥) ويباكر
تعاورنا(٢٦) آفاتها وهموها
وكم قد ترى يبقى لها المتعاور
فلا هو مغبوط(٢٧) بدنياه آمن
ولا هو عن تطلا بها النفس قاصر

كم غرت من مخلد إليها، وصرعت من مكب(٢٨) عليها،

فلم تنعشه(٢٩) من صرعته، ولم تقله من عثرته، ولم تداوه من سقمه، ولم تشفه من ألمه:

بلى اوردته بعد عز ومنعة
موارد سوء ما لهن مصادر
فلما رأى ان لا نجاة وانه
هو الموت لا ينجيه منه التحاذر
تندم إذ لم تغن عنه ندامة
عليه وابكته الذنوب الكبائر

بكى على ما أسلف من خطاياه، وتحسر على ما خلف من دنياه، حيث لا ينفعه الاستعبار، ولا ينجيه الاعتذار، من هول المنية، ونزول البلية:

احاطت به احزانه وهمومه
وأبليس لما اعجزته المعاذر
فليس له من كربة الموت فارج
وليس له مما يحاذر ناصر
وقد جشأت(٣٠) خوف المنية نفسه
ترددها منه اللها والحناجر

هنالك خفَّ عنه عواده، وأسلمه أهله وأولاده، وارتفعت الرنة والعويل، ويئسوا من برء العليل، غمضوا بأيديهم عينيه،

ومدوا عند خروج نفسه يديه ورجليه:

فكم موجع يبكي عليه تفجعاً

ومستنجد صبراً وما هو صابر

ومسترجع(٣١) داع له الله مخلصاً

يعدد منه كل ما هو ذاكر

وكم شامت مستبشر بوفاته

وعما قليل للذي صار صائر

شقت جيوبها نساؤه، ولطمت خدودها إماؤه، وأعول لفقده جيرانه، وتوجع لرزيته إخوانه، ثم أقبلوا على جهازه، وتشمروا(٣٢) لإبرازه:

وظل أحب القوم كان بقربه

يحث على تجهيزه ويبادر

وشمّر من قد احضروه لغسله

ووجّه لما قام للقبر حافر

وكفن في ثوبين واجتمعت له

مشيعة اخوانه والعشائر

فلو رأيت الأصغر من أولاده، وقد غلب الحزن على فؤاده، فغشى من الجزع عليه، وقد خضبت الدموع خديه، ثم

أفاق وهو يندب أباه، ويقول بشجو: وا ويلاه:

لعاينت من قبح المنية منظراً

يهال لمرآه ويرتاع ناظر

أكابر اولاد يهيج اكتئابهم

اذا ما تناساه البنون الاصاغر

ورنة نسوان عليه جوازع

مدامعها فوق الخدود غوازر

ثم أخرج من سعة قصره الى ضيق قبره، فحثوا بأيديهم التراب، وأكثروا التلدد(٣٣) والانتحاب، ووقفوا ساعة عليه، وقد يئسوا من النظر إليه:

فولوا عليه معولين وكلهم

لمثل الذي لاقى اخوه محاذر

كشاء رتاع آمنين بدالها

بمديته(٣٤) بادي الذراعين حاسر

فريعت(٣٥) ولم ترتع قليلا وأجفلت

فلما نأى عنها الذي هو جازر

عادت الى مرعاها، ونسيت ما في أختها دهاها(٣٦)

أفبأفعال البهائم اقتدينا وعلى عاداتها جرينا، عد الى ذكر

المنقول الى الثرى والمدفوع الى هول ما ترى:

ثوى مفرداً في لحده وتوزعت

مواريثه اولاده والاصاهر

وأحنوا على أمواله يقسمونها

فلا حامد منهم عليها وشاكر

فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها

ويا آمناً من ان تدور الدوائر

كيف أمنت هذه الحالة، وانت صائر إليها لا محالة؟! أم كيف تتهنا بحياتك وهي مطيتك الى مماتك؟! أم كيف تسيغ طعامك وأنت منتظر حمامك؟!

ولم تتزود للرحيل وقد دنا

وانت على حال وشيك مسافر

فيا ويح(٣٧) نفسي كم اسوف(٣٨) توبتي

وعمري فان، والردى لي ناظر

وكل الذي اسلفت في الصحف مثبت

يجازي عليه عادل الحكم قاهر

فكم ترقع بدينك دنياك، وتركب في ذلك هواك، إني

لأراك ضعيف اليقين، يا راقع الدنيا بالدين أفبهذا أمرك الرحمن؟ أم على هذا دلّك القرآن؟

تخرب ما يبقى وتعمر فانياً
فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر
وهل لك إن وافاك حتفك(٣٩) بغتة
ولم تكتسب خيراً لدى الله عاذر
أرتضى بان تفتي الحياة وتنقضي
ودينك منقوص وما لك وافر

فبك آلهنا نستجير، يا عليم يا خبير، من نؤمل لفكاك رقابنا غيرك؟ ومن نرجو لغفران ذنوبنا سواك؟ وأنت المتفضل المنان القائم الديان، العائد علينا بالاحسان بعد الإساءة منا والعصيان، يا ذا العزة والسلطان، والقوة والبرهان، أجرنا من عذابك الأليم، واجعلنا من سكان دار النعيم، برحمتك يا

أرحم الراحمين[1].

الشعر الوعظي:

ونقرء في ميراث الإمام زين العابدين عليه السلام الوعظي شعراً وعظياً رقيقاً مؤثراً نذكر نماذج منها. من ذلك ما وراه الشيخ بهاء الدين العاملي في الكشكول: ٣/١٥-١٥١.

---

(١) **تفسير بعض المفردات الواردة في هذه الندبة:** (١) حتى متى «خ». (٢)الافك: أحبتك. (٣) أقوت: خلت. (٤) اخترمت: استأصلت وقطعت (٥) الإرماس: القبور. (٦) وخطك القتير: خالط الشيب سواد شعرك. (٧) ساه: غافل. (٨) لاه: مشغول. (٩) القذال: ما بين الأثنين من مؤخر الرأس. (١٠) معنى: مهتم. (١١) الحمام: الموت. (١٢) رميما: عظاما بالية. (١٣) ثووا/ أقاموا. (١٤) تسفى: تذر. (١٥) ** . (١٦) عنا: خضع وذل. (١٧) صاغر: ذليل. (١٨) البدار: السرعة. (١٩) الغبة: البلغة من العيش. (٢٠) أريب: عاقل. (٢١) البيات: الايقاع بالليل. (٢٢) نشور: إحياء. (٢٣) أوصابها: أمراضها. (٢٤) إربتي: حاجتي. (٢٥) صرفها: نوائبها. (٢٦) ** (٢٧) مغبوط: مسرور. (٢٨) مكب: مقبل. (٢٩) تنعشه: ترفعه. (٣٠) جشأت نفسه: نهضت من حزن أو فزع. (٣١) ** . (٣٢) تشمروا: تهيأوا. (٣٣) التلدد: العض على الشفاة وإظهار الحزن والتأسف. (٣٤) المدية: الشفرة الكبيرة. (٣٥) راعت: فزعت. (٣٦) دهاها: نزل بها. (٣٧) ويح: كلمة ترحم وتوجع. (٣٨) أسوف: أماطل، وأقول مرة بعد أخرى «سوف». (٣٩) حتفك: موتك.

إذا بلغ إمرؤ عليا وعزا
تولى واضمحل مع البلاغ
كقصر قد تهدم حافتاه
إذا صار البناء على الفراغ
أقول وقد رأيت ملوك عصري
الا لا يبغين الملك باغ

وقال أيضاً، كما في كشول الشيخ البهبهاني: ١٣/٣.

تفكر اين اصحاب السرايا
وأرباب الصوافن والعشار
وأين الاعظمون يداً وبأساً
واين السابقون لدى الفخار
وأين القرن بعد القرن منهم
من الخلفاء والشمم الكبار
كان لم يخلقوا او لم يكونوا
وهل حيّ يصان عن البوار[1].

(١) النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين عليه السلام محمود البغدادي ص ١٣٣.

ومما يروى عنه في هذا السياق:

واضحوا رميماً في التراب وعطلت
مجالس منهم أقفرت ومعاصر
وحلّو بدار لا تزاور بينهم
وأنّى لسكـــان القبور التزاور
فما إن ترى الا قبوراً ثووا بها
مسطحة تسفى عليها لاعاصر
فما صرفت كف المنية اذ اتت
مبادرة تهوى اليه الذخائر
ولا دفعت عنه الحصون التي بنى
وحـــف بها انهاره والدساكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة
ولا طمعت في الذب عنه العساكر
مليك عزيز لا يرد قضاؤه
حكيـــم عليم نافذ الامر قاهر
عنا كل ذي عز لعزة وجهه
فكـــل عزيز للمهمين صاغر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت

لعزة ذي العرش الملــوك الجبابر[1].

ومما يروى عنه عليه السلام في الموعظة:

قد طال لبثك في الفساد
وبئس الزاد زادك للمعاد
صبا[2] فيك الفؤاد فلم تزعه
وحدت الى متابعة الفؤاد
وقادتك المعاصي حيث شاءت
وألفتك امرءا سلس القياد
لقد نوديت للترحال فاسمع
ولأتتصامن عن المنادي
كفاك مشيب رأسك من نذير
وغالب لونه لون السواد.

---

(١) القصيدة طويلة رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤٠٥/٤١ وعنه رواها ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق: ٢٥٠/١٧ دار الفكر وابن كثير في البداية والنهاية: ١٢٩/٩ دار احياء التراث العربي... فمن أراد فليرجع الى تاريخ دمشق.. وقد ذكرنا شطراً من هذه القصيدة في الرسالة الوعظية المتقدّمة.

(٢) النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين عليه السلام ١٣٧ عن كشكول الشيخ البهائي: ١٢/٣.

ومن شعره عليه السلام الوعظي:

فعقبى كل شيء نحن فيه
من الجمع الكثيف الى الشتات
وما حزناه من حلّ وحرم
يوزع في البنين وفي البنات
وتنسانا الأحبة بعد عشر
وقد صرنا عظاماً باليات
كأنّا لـــم نعاشرهم بود
ولم يك فيهم خل موات[1].

(١) المصدر السابق عن كشكول البهائي: ١١/٣.

٥ ـ التثقيف بمرجعية أهل البيت عليهم السلام

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وثقافة الولاء والبراءة

التثقيف بالولاء والبراءة ومرجعية أهل البيت عليهم السلام :

التثقيف بالولاء لآل محمد صلى الله عليه وآله والبراءة من اعدائهم والناصبين لهم العداء، والتثقيف بحق أهل البيت عليهم السلام في المرجعية السياسية والفقهية والمعرفية في هذه الأمة... أحد أهم وجوه ثقافة الجماعة الصالحة.

وعلى العموم كان دأب أئمة أهل البيت عليهم السلام الالتزام بالتثقيف بالولاء والبراءة وتثبيت حق اهل البيت عليهم السلام في الإمامة والقيادة والمرجعية في هذه الأمة.

النصوص النبوية في مرجعية أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم:

فقد وصى رسول الله صلى الله عليه وآله ان تكون المرجعية السياسية (الزعامة السياسية) والمرجعية الدينية (الفقهية والمعرفية) لأهل بيته بعد وفاته والنصوص على ذلك كثيرة في طرق الفريقين السنة والشيعة... ولسنا الأن بصدد الحديث عن هذه

النقطة.

واشهر نّص ورد في (المرجعية السياسية) لأهل البيت عليهم السلام من بعده صلى الله عليه وآله حديث الغدير الذي تبلغ طرقه عند الفريقين حد التواتر، بلا اشكال، وجملة من طرقه صحيحه على المعايير المعروفة في علم الحديث.

واشهر نص ورد في مرجعية اهل البيت عليهم السلام الدينية (الفقهية والمعرفية) حديث الثقلين الذي بلغ روايته ايضاً حد الاستفاضة وجملة من طرقه صحيحه، ومنها طريق مسلم والترمذي وأحمد بن حنبل وغيرهم.

والذي حصل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن الناس حجبوا عنهم تلك المواقع.

فصبروا حتى تكون مصيبتهم في المواقع التي سلبت عنهم خاصة ولا تكون مصيبتهم فيها وفي الاسلام.

يقول عليه السلام في خطبته المعروفة بالشقشقية عن هذا الحق الذي ضيعه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله (فرأيت الصبر على هاتا احجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، ارى

تراثي نهبا)[1].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام فيما يرويه الشريف الرضي في نهج البلاغة عنه عليه السلام.

فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه عني من بعده، فما راعني[2] إلا انثيال[3] الناس على فلان[4] يبايعونه، فأمسكت يدي[5] حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثلما[6] أو هدما تكون

(١) نهج البلاغة: ٣/١١٨-١١٩ كتاب رقم ٦٣ (من كتاب له عليه السلام الى أهل مصر مع مالك الاشتر لما ولاه إمارتها.
(٢) راعني: اي افزعني.
(٣) انثيال: اقبال انصباب تزاحم.
(٤) فلان: الخليفة الأول.
(٥) فامسكت يدي عن بيعة الخليفة الأول وامتنعت عن مبايعته.
(٦) ثلما: اي خرقاً.

المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم[1].

وسرعان مالملم آل البيت عليهم السلام جراحهم، وتحركوا في المسيرة الإسلامية الكبرى.

ولكن الحق الذي ضيعّه الناس لأهل البيت عليهم السلام لم يكن حقاً شخصياً ليسكت عنه أهل البيت عليهم السلام، وأنما كان حقاً لأمة رسول الله صلى الله عليه وآله... فقد شاء الله تعالى أنّ يقترن هدى أهل البيت عليهم السلام بهدى القرآن ولا يفترقا عن بعض، ويرسمان معاً صراط الله المستقيم في حياة المسلمين، منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله الى أن تقوم الساعة في نهاية التاريخ، كما ورد هذا المعنى في بعض الفاظ حديث الثقلين:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله «اني قد تركت فيكم الثقلين. احدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي. فأنظروا كيف تخلفنوني فيهما. فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»[2].

---

(١) نهج البلاغة كتاب رقم: ٦٢ الى مالك الاشتر رضوان الله عليه عامله على مصر.

(٢) أخرجها الحاكم في المستدرك على الصحيحين: ١١٨/٣ واخرجه الحافظ ابن كثير في تفسيره: ١١٣/٤ وغيرهم.

ومعنى هذا النص ومغزاه إذا تأمّلنا أنّ حجب أهل البيت عليهم السلام عن موقع الريادة والقيادة والمرجعية الفقهية والمعرفية في الاسلام يؤدي الى تشتيث المسلمين الى مذاهب فقهية ومعرفية كثيرة في الفروع والأصول، كما حصل بالفعل.

المحافظة على تواتر النصوص النبوية في مرجعية أهل البيت عليهم السلام

ولهذه الأسباب كان اهل البيت عليهم السلام يحرصون على أن يحافظوا على تواتر النصوص النبوية الصريحة بمواقع أهل البيت عليهم السلام في هذه الأمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لئلا تضيع هذه النصوص وتفقد إستفاضتها وتواترها كما ضاعت الحقوق قبل ذلك.

ومن أجل ذلك استشهد أمير المؤمنين عليه السلام طائفة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على بيعة الغدير في رحبة مسجد الكوفة، فناشدهم الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غدير خم: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» فقام اثنى عشر بدريا

وشهدوا بذلك[1].

ومن ذلك احتجاج الإمام الحسن عليه السلام:

أخرج الحافظ أبو العباس بن عقدة: إنّ الحسن بن علي عليه السلام لما جمع على صلح معاوية قام خطيباً وحمد الله، وأثنى عليه وذكر جدّه المصطفى بالرسالة والنبوة، ثم قال: إنا أهل بيت أكرمنا الله بالإسلام واصطفانا، وإذهب الرجس وطهّرنا تطهيرا. لم تفترق الناس فرقتين إلا جعلنا الله في خيرهما من آدم إلى جدّي محمّد صلى الله عليه وآله.

وقد سمعت هذه الأمة جدّي صلى الله عليه وآله يقول: ما ولّت أمّة رجلاً وفيهم ممن هو أعلم منه الا لم يزل أمرهم سفالاً حتّى يرجعوا إلى ما تركوه.

وسمعوه يقول لأبي: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي.

---

(١) راجع تفاصيل حديث المناشدة في الغدير: ١/٣١٤-٣٦٦ قال الحلبي في سيرته: ٣/٣٠٣ (احتج (علي عليه السلام) به بعد أن آلت اليه الخلافة رداً على من نازعه فيها).

وقد رووه وسمعوه حين أخذ بيد أبي بغدير خم، وقال لهم: من كنت مولاه، فعلي مولاه. اللهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه. ثم أمرهم أن يبلّغ الشاهد الغائب.

ذكر شطراً من هذه الخطبة (القندوزي) الحنفي في ينابيع المودّة[1].

كما جمع الحسين عليه السلام مَن تبقّى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأولاد الصحابة والتابعين في منى في ملتقى واسع عقده الإمام الحسين عليه السلام في السنين الأخيرة من حكم معاوية، جمعهم في سرادقة، فكانوا زهاء ألف أو أكثر.

فخطب فيهم، فقال: إنّ هذا الطاغية (معاوية) قد فعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وشيعته ما صنع، وأنّه يخاف إندثار فضائل عليّ عليه السلام فذكر لهم طائفة من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله في علي بن أبي طالب وطلب منهم أن يشهدوا بصحة الحديث إن كانوا قد سمعوا الحديث، فشهدوا له جميعاً، ثم

---

(١) ينابيع المودّة ٣/ ١٥٠ باب ٩٠.

طلب منهم أن يستروا عليه هذا الموقف ، وينشروا هذه الأحاديث والنصوص، إذا رجعوا إلى بلادهم، وكان فيما تلاه عليهم نصوصاً في إمامة علي عليه السلام[1].

وكان للإمام الباقر عليه السلام جهداً توثيقياً واعلامياً نحو ذلك في تثبيت الاستفاضة والتواتر لهذه الأحاديث التي كانت تتعرض للتعتيم والإنكار من قبل علماء البلاط الأموي من مثل محمّد بن مسلم الزهري وامثاله ممن خالطوا سلطان بني أمية.

الإمام عليه السلام يدعوا الى تثبيت مرجعية أهل البيت عليهم السلام :

رغم كل الارهاب الأموي الذي كان يعيشه علي بن الحسين عليه السلام كان يسعى لتوثيق وتثبيت مرجعية أهل البيت عليهم السلام السياسية والفقهية والمعرفية.

فهو يصرّح بإمامته وأمامة ذريته من بعده

يقول في كلام له يرويه الصدوق في الآمالي والطبرسي

---

(١) بحار الأنوار ٣٣/ ١٨٣.

في الاحتجاج: «نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين. ونحن أمان اهل الأرض، كما أن النجوم أمان اهل السماء، ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهود او غائب مستور. ولا تخلو الى أن تقوم الساعة من حجة الله»[1].

وقال نصر بن أوس ابو المنهال الطائي: قال لي علي بن الحسين عليه السلام: «الى من يذهب الناس؟» قال قلت يذهبون ها هنا وها هنا. قال: قل لهم يجيئون الي[2].

وكان يدعوا الى نفسه اماماً للمسلمين والى ذريته من بعده. قال أبو خالد الكابلي: يا مولاي اخبرني كم يكون الائمة بعدك؟ قال ثمانيه. لان الائمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إثنا عشر اماماً، عدد الاسباط: ثلاثة من الماضيين، وانا الرابع

(١) أمالي الصدوق: ١١٢ مجلس ٣٤ والاحتجاج: ٣١٧.
(٢) تاريخ دمشق: ٣٦٥/٤١.

وثمانية من ولدي[1].

وكان عليه السلام يقول ما ينقم الناس منا، فنحن والله شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم، ومختلف الملائكة[2].

كما كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام يدعو الى مرجعيته الدينية والثقافية في عهده ثم مرجعية ذرية من بعده.

روى عنه عليه السلام: «إن دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة والاراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، لا يصاب الا بالتسليم، فمن سلم لنا سلم، ومن اقتدى بنا هُدي»[3].

وروى انه عليه السلام قال لرجل شاجره في الفقه: «يا هذا لو صرت الى منازلنا لارياك آثار جبرئيل في رحالنا، افيكون أحد اعلم بالسنة منا؟»[4].

---

(١) كفاية الاثر: ٢٣٦-٢٣٧ والصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي النباطي: ١٣١/٢ وبحار الأنوار: ٣٨٨/٣٦.

(٢) الكافي: ٢٢١/١.

(٣) اكمال الدين: ٣٢٤.

(٤) نزهة الناظر للحلواني: ٤٥ وبحار الأنوار: ١٦١/٧٥.

عن موسى بن القاسم قال قال علي بن الحسين عليه السلام إنّ محمد صلى الله عليه وآله كان أمين الله في ارضه فلما قبض محمد كنا أهل البيت ورثته فنحن أمناء الله في أرضه عندنا علم المنايا والبلايا ومولد الاسلام وان شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم. نحن النجباء، ونحن افراط الأنبياء، ونحن ابناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس بدين الله، نحن الذين شرع الله لنا دينه. وقال في كتابه ﴿**شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى**﴾ فقد عُلّمنا، وبلغنا ما عُلّمنا، واستودعنا علمهم. نحن ورثة الأنبياء ونحن أولى العزم من الرسل[1].

(١) بصائر الدرجات محمد بن الحسن الصفار: ٢٩٠ ط ١٤٠٤- ١٣٦٢هـ ش طهران- الاعلمي، والكافي للكليني: ٢٢٤/١، وقريبا من هذا النص ما رواه القاضي النعمان المغربي في دعائم الاسلام: ٦٣، ومختصر بصائر الدرجات: ١٧٤.

الدعاء السياسي:

وكان من دعائه عليه السلام يوم الأضحى ويوم الجمعة. يقول: اللهم إن هذا المقام (امامة العيد والجمعة) لخلفائك وأصفيائك، ومواضع امنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها، وأنت المقدر لذلك، لا يغالب أمرك، ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأنّى شئت، ولما انت اعلم به، غير متهم على خلقك، ولا لإرادتك، حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين، مقهورين، مبتزين، يرون حكمك مبدلاً، وكتابك منبوذا، وفرائضك محرفة عن جهات اشراعك (شرائعك)، وسنن نبيك متروكه، اللهم العن اعداءهم من الأولين والآخرين ومن رضى بفعالهم وأشياعهم واتباعهم[1].

وكان المعلى بن خنيس إذا كان يوم العيد خرج الى الصحراء شعثا مغبرا في زي ملهوف، فإذا صعد الخطيب

(١) من ادعية الصحيفة السجادية الكاملة، وهو الدعاء (٤٨) مؤسسة النشر الاسلامي: ص٢٧٧.

المنبر مديده نحو السماء ثم قال: اللهم هذا مقام خلفائك وأصفيائك، ومواضع أُمنائك في الدرجة الرفيعة التي إختصصتهم بها، قد ابتزوها، وأنت المقدر للأشياء، لا يغالب قضاؤك، ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأنّى شئت، علمك في إرادتك كعلمك في خلقك، حتى عاد صفوتك وخلفؤك مغلوبين مقهورين مبتزين، يرون حكمك مبدلا وكتابك منبوذا، وفرائضك محرفة عن جهات شرائعك، وسنن نبيك صلوات عليه وآله متروكة، اللهم العن أعداءهم، وأعوانهم، إنك على كل شيء قدير[1].

وكان من دعائه عليه السلام يوم عرفه في واد عرفه كما في الصحيفة السجادية ص٢٥٥-٢٥٧.

اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علما لعبادك، ومنارا في بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك، وجعلته الذريعة الى رضوانك، وافترضت طاعته، وحذرت

(١) رجال الكشي: ٢٤٣، وبحار الأنوار: ٣٦٣/٤٧.

(عن) معصيته، وأمرت بامتثال أمره، والانتهاء عند نهيه، وألا يتقدمه متقدم، ولا يتأخر عنه متأخر فهو عصمة اللائذين، وكهف المؤمنين، وعروة المتمسكين، وبهاء العالمين، اللهم فأوزع لوليك، شكر ما أنعمت به عليه وأوزعنا مثله فيه، وآته من لدنك سلطانا نصيرا، وافتح له فتحا يسيرا، أعنه بركنك الأعز، واشدد أزره، وقو عضده، وراعه بعينك، واحمه بحفظك، وانصره بملائكتك وامدده بجندك الأغلب، وأقم به كتابك وحدودك وشرائعك وسنن رسولك صلى الله عليه وآله، وأحي به ما أماته الظالمون من معالم دينك، وأجل به صداء الجور عن طريقتك، وأبن به الضراء من سبيلك، وأزل به الناكبين عن صراطك، وامحق به بغاة قصدك عوجا، وألن جانبه لأوليائك وابسط يده على أعدائك، وهب لنا رأفته ورحمته وتعطفه وتحننه، واجعلنا له سامعين مطيعين، وفي رضاه ساعين، والى نصرته والمدافعة عنه مكنفين، وإليك والى رسولك صلى الله عليه وآله

بذلك متقربين[1].

وليس من شك ان الإمام عليه السلام لا يقصد بهذا الدعاء طغاة بني أمية الذين كانوا يهلكون الحرث والنسل، وإنما يقصد بهذا الدعاء أئمة الحقّ من أهل البيت عليهم السلام أُمناء الأمة وخلفاء رسول الله في أمته والطاهرين المطهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس... وهو عليه السلام في عصره امام هذه الأمة الذي ابتز بنو امية حقه وموقعه[2].

الشعر السياسي:

في الادبيات السياسية التي وصلتنا عن الإمام زين العابدين عليه السلام نلتقي بالشعر السياسي، وهو ظاهرة سياسية بارزة

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة مؤسسة النشر الاسلامي قم ١٤٠٤-١٣٦٣ ش.

(٢) قد يوحى بعض الكلمات الواردة في الدعاء أن الداعي غير المدعو له مثل (وهب لنا رأفته ورحمته) (واوزعنا مثله فيه) والجواب ان هذه الادعية ذات صفة تعليمية للناس تعلمهم كيف يدعون لإمام المسلمين يوم عرفه، مثلاً.

في ادبيات أهل البيت عليهم السلام في الاعلان عن الظلم الذي نال أهل البيت عليهم السلام من قبل الحكام الظالمين وعمالهم وأذنابهم الذين عاثوا في الأرض فسادا، ونشروا الرعب والارهاب، وعن الظلم الذي طالهم من قبل علماء البلاط الأموي الذين ابتزوهم موقع الفتيا والمرجعية الدينية والمعرفية بين المسلمين.

والشعر السياسي ينتشر بين الناس بسرعة ويحفظه الناس ويتناقلونه، وقد دأب أهل البيت عليهم السلام وشعيتهم منذ هذا التاريخ على الاهتمام بالشعر السياسي، فكان منهم الفرزدق وكميت والسيد الحميري ودعبل الخزاعي والعبدي الكوفي وغيرهم.

وكان أهل البيت عليهم السلام يُرّغّبون شيعتهم في هذا النوع من الشعر، ويتّخذونه وسيلة لنشر فضائل أهل البيت عليهم السلام واستحقاقاتهم السياسية والدينية، وشجب اعدائهم وخصومهم والناصبين لهم العداء.

وللإمام زين العابدين عليه السلام شعر سياسي يذكره ابن شهر آشوب في المناقب والمجلسي في البحار.

ومحور هذا الشعر الشكوى مما نال أهل البيت عليهم السلام من الظلم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وخاصة من بني أمية، والتنديد بمن غصب حقوق أهل البيت عليهم السلام ومواقعهم في هذه الامة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن شعره السياسي في التشييد بموقع اهل البيت عليهم السلام في الاسلام

لنحن على الحوض رواده
نـــذود ونسـقى وراده
وـــما فاز من فاز إلا بنا
وما خاب من حبنا زاده
ومن سرّنا نال منا السرور
ومـــن ساءنا ساء ميلاده
ومـــن كان غاصبنا حقنا
فيـــوم القيامة ميعاده

ويروى له عليه السلام:

نحن بنو المصطفى ذوو غصص
يجرعها في الأنام كاظمنا
عظيمـــــة في الأنام محنتنا
أولنـــــا مبتلى وآخرنا

ومن شعره عليه السلام السياسي:

ليت شعري هل عاقل في الدياجي
بات من فجعة الزمان يناجي
انا نجل الإمام ما بال حقى
ضائع بين عصبة أعلاج [1]، [2]

---

(١) الاعلاج ج علج وهو بمعنى الشديد الغليظ الصلف من الرجال.
(٢) النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين عليه السلام: محمود البغدادي: ص ١٣٠.

٦ـ ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعي

الأسس السياسية الثلاثة في ثقافة أهل البيت عليهم السلام:

في ظروف الارهاب الأموي والعباسي تستوقفنا في تاريخ ائمة أهل البيت عليهم السلام السياسية ثلاثة أسس يتفق عليها أهل البيت عليهم السلام من مصرع الحسين عليه السلام الى الغيبة الصغرى.

وهذه الأسس الثلاثة هي:

١- مقاطعة الحكام الظلمة من بني أمية وبني العباس

٢- الحضور الدائم والقوي والفاعل في وسط الأمة بعرضها العريض، وعدم الانكفاء على الذات.

٣- بناء وتشييد وتوسعة الجماعة الصالحة

واليك شرح موجز لهذه الأسس الثلاثة:

١ـ مقاطعة الحكام الظلمة:

كان أهل البيت عليهم السلام يؤكدون على هذه المقاطعة ويصرحون في كل الظروف على حرمة التعاون مع الظلمة، حتى لو كان بمقدار قط قلم ومدة دوات (حبر) او أن يكي لهم احد وكاءً

إلا ان تكون المهمة التي تناط بهم من المهام التي يحتاجها الناس على كل حال، وتتوقف عليها حياتهم، ومن دونها تتعطل حياة الناس، من قبيل الأمن والتعليم والنظام وأمثال ذلك، دون أن يكون في ذلك دعم وإسناد للظالم. وبين المستثنى (السائغ) والمستثنى منه (المحظور) فرق واضح.

والغاية من هذا الحظر هو إخلاء أطراف الظالم وعزله سياسياً واجتماعياً، وإبعاد الجمهور عنه، وإشعاره بالعزلة السياسية والاجتماعية وأنّه حالة منبوذة في وسط المجتمع.

وقد حققت هذه التعاليم الكثير من أهدافها في المجتمع الاسلامي يومذاك، حتى أصبح العلماء الصالحون يتجنبون الدخول في أعمال خلفاء بني أمية وبني العباس ويتجنبون الدخول في قصورهم ومعاشرتهم، ما امكنهم ذلك.

وقد وردت في هذا المعنى روايات كثيره نتلو عليكم بعضها.

روى محمد بن يعقوب الكليني في الكافي بسنده عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليهما السلام في حديث قال: إياكم

وصحبة العاصين ومعونة الظالمين.

وروى طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به شركاء.

وروى الكليني أيضاً: عن محمد ابن عذافر، عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا عذافر نُبِئتّ أنك تعامل أبا أيوب والربيع، فما حالك إذا نودي بك في أعوان الظلمة؟ قال: فوجم أبي، فقال له أبو عبد الله عليه السلام لما رأى ما أصابه: أي عذافر إنما خوفتك بما خوفني الله عز وجل به، قال محمد: فما زال أبي مغموماً مكروبا حتى مات.

وروى ابن محبوب، عن حريز قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إتقوا الله، وصونوا دينكم بالورع، وقووه بالتقية والاستغناء بالله عز وجل، عن طلب الحوائج الى صاحب سلطان، إنّه من خضع لصاحب سلطان، ولمن يخالفه على دينه، طلباً لما في يديه من دنياه أخمله الله عز وجل ومقته عليه، ووكله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه، فصار إليه منه شيء نزع الله جل إسمه البركة منه، ولم يأجره على

شيء منه ينفقه في حج ولا عتق ولا بر.

روى الكليني عن هشام بن سالم عن أبي بصير، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن أعمالهم فقال لي: يا أبا محمد، لا ولا مدة قلم. إن أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينه مثله.

عن جهم بن حميد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أما تغشى سلطان هؤلاء؟ قال: قلت: لا، قال: ولم؟ قلت: فرارا بديني، قال: وعزمت على ذلك؟ قلت: نعم، قال لي: الآن سلم لك دينك[1].

٢ـ الحضور في وسط الأمة:

من خلال كلمات أهل البيت عليهم السلام نكتشف خيوط مؤامرة واسعة على شيعة أهل البيت عليهم السلام تسعى الى عزلهم عن الساحة الإسلامية الواسعة (الأمة الإسلامية)، وحشرهم في

(١) استخرجنا الروايات جميعاً من وسائل الشيعة: ١٢٧/١٣-١٢٩ ط الإسلامية.

زاوية حرجة، والتضيق عليهم... عندئذ يفقد شيعة أهل البيت عليهم السلام دورهم وتأثيرهم في توعية الرأي العام في مساحة الأمة الواسعة، وينقلبون الى مجموعة منكفاءة على نفسها، شأنهم في ذلك شأن الخوارج.

لقد أدرك أئمة أهل البيت عليهم السلام هذه المؤامرة الأموية الخبيثة، وكافحوها بالتأكيد على شيعتهم بضرورة الحضور المؤثر القوي في وسط الأمة، ومنعوهم من الانكفاء على الذات، ووضحوا لهم أنهم إذا خرجوا من بحر الأمة فسوف يفقدون تأثيرهم ودورهم في تصحيح المسيرة، وفضح السلطان وتعريته للجمهور.

وقد وردت في ذلك روايات كثيرة نذكر طائفة منها هنا، شاهداً على ما نقول:

وهذه الثقافة هي ثقافة الانفتاح على الأمة الكبيرة، وصّى بها أهل البيت عليهم السلام شيعتهم...

وشيعة أهل البيت عليهم السلام اليوم في ظروف الفتنة الطائفية الحاضرة مدعوون الى حالة الانفتاح هذه بشكل قوي،

لإحباط الفتن الطائفية التي تثيرها هنا وهناك عملاء الاستكبار العالمي واذ نابهم بين المسلمين من الشيعة والسنة في كل مكان تقريباً.

وإليك نماذج من أحاديث أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن:

روى محمد بن يعقوب الكليني بسند صحيح في الكافي عن أبي أسامة زيد الشحام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أقرا على من ترى انه يطيعني منهم، ويأخذ بقولي السلام، أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله.

وأدوا الأمانة الى من أئتمنكم عليها براً أو فاجرا، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر بأداء الخيط والمخيط.

صِلُوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري، فَيسُرّني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل

هذا أدب جعفر.

والله لحدثني أبي عليه السلام إن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي فيكون زينها، أداهّم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، واليه وصاياهم وودائعهم، تسال العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان إنّه أدانا للأمانة واصدقنا لحديث[1].

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟ قال: فقال عليه السلام: تؤدون الأمانة إليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم[2].

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال قلت له (الصادق عليه السلام) كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا

---

(١) وسائل الشيعة ج٨ ص٣٩٨ كتاب الحج آداب أحكام العشرة الباب الأول. الحديث الأول.

(٢) وسائل الشيعة ج٨ ص٣٩٨ كتاب الحج آداب أحكام العشرة الباب الأول الحديث الثاني.

وبين خلطائنا من الناس ومن ليسوا على أمرنا فقال: تنظرون الى ائمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون. فوالله انهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الامانة لهم[1].

وفي رواية أخرى للكليني في الكافي بسند صحيح عن حبيب الحنفي قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا الجنائز، وعودوا المرضى، وأحضروا مع قومكم مساجدهم، واحبّوا للناس ما تحبون لأنفسكم، أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حق جاره[2].

وبسند صحيح عن مرازم قال: قال أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام: عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار

---

(١) وسائل الشيعة ج٨ ص٣٩٩ كتاب الحج آداب أحكام العشرة الباب الأول الحديث الثالث.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٩٩/٨ كتاب الحج ابواب احكام العشرة الحديث الرابع.

للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، انه لا بد لكم من الناس، أن أحداً لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لابد لبعضهم من بعض[1].

٣ـ بناء الجماعة الصالحة:

وهو الأساس الثالث في سياسة أهل البيت عليهم السلام وقد وضحنا أهمية مشروع الجماعة الصالحة في مواجهة الانحراف الأموي والعباسي عن الإسلام النقي الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله من عند الله.

لقد تعرض دين الله على يد بني أمية وبني العباس الى انحرافات كبيرة في الأصول والفروع، وتغير الكثير من أحكام الله تعالى وحدوده. فقد حللّوا المنكرات التي حرّمها الله تعالى، واستباحوها في قصورهم، وأشاعوها بين المسلمين... وما بالك إن كان الذي يسمي نفسه خليفة رسول

(١) وسائل الشيعة: ج٨ ص٩-٣٩٩ كتاب الحج ابواب احكام العشرة الحديث الخامس.

الله صلى الله عليه وآله يقارف شرب الخمر علانية، ويعرف الناس منه ذلك، ولا يأبى هو أن يعرف المسلمون منه ذلك، وأشاعوا الظلم والفساد بين المسلمين، وقارفوا من المنكرات والمحرمات في قصورهم الكثير وأشاعوها بين المسلمين، فاصبح المنكر معروفا والمعروف منكراً.

وكانت خيارات أهل البيت عليهم السلام في حفظ الإسلام وتعاليم الوحي والخط الصحيح للإسلام محدودة جداً في ظروف القهر والعنف والارهاب السياسي.

وكان من أهم الفرص والخيارات الممكنة لهم: ان يبدأوا في ظروف الارهاب والقهر السياسي والأمني ببناء (الجماعة الصالحة) وهم شيعتهم القريبون منهم، ويربون هذه الجماعة على المنهج الإسلامي الصحيح في العلاقة بالله، والالتزام بحدوده واحكامه، ومكافحة التحريفات الأموية العباسية وتعريتها وفضحها، والالتزام بالسرية الشديدة المكثفة لحفظ هذه الجماعة من تسلل السلطان وعيونه، والابقاء عليهم، بعيداً عن الضوء، وعن متناول جلاوزة الانظمة وعمالهم.

وكان لابد ان يكون بناء هذه الجماعة بناءً محكماً مقاوماً

يقاوم ضغوط النظام والفتن السياسية والاجتماعية.

ولتحقيق ذلك كان لابد من التواصل والتكافل والتعاون الشديد على البر والتقوى داخل الجماعة، وفي نفس الوقت المحافظة على سرية هذه الجماعة وابعادهم عن الأضواء للابقاء عليهم بعيداً عن سطوة وضراوة النظام.

ولذلك كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يؤكدون على أهمية التواصل والتكافل والتعاون على البر والتقوى بينهم، كما كانوا يؤكدون في نفس الوقت، على التواصل والتعاون والتكامل في بحر الأمة العريض.

وكانوا يواجهون أصحابهم بعتاب وانقباض، إذا وجدوا منهم تثاقلاً في مساعدة اخوانهم ومدّ اليد اليهم في ما يواجهونه من المعاناة والعذاب، وعندما يجدون قصوراً من بعضهم في التواصل والتكامل والتعاون داخل الجماعة.

روى إسحاق بن عمار الصيرفي قال: كنت بالكوفة، فيأتيني إخوان كثيرة، وكرهت الشهرة، فتخوفت أن أشتهر بديني، فأمرت غلامي، كلما جاءني رجل منهم يطلبني يقول:

ليس هو ههنا.

قال فحججت تلك السنة، فلقيت أبا عبد الله عليه السلام، فرأيت منه ثقلا وتغيرا فيما بيني وبينه. قال قلت جعلت فداك ما الذي غيّرني عندك؟ قال الذي غيرك للمؤمنين. قلت: جعلت فداك، إنما تخوفت الشهرة، وقد علم الله شدة حبي لهم. فقال: يا إسحاق لا تَمُلَّ زيارة إخوانك، فإن المؤمن إذا لقي أخاه المؤمن، فقال مرحبا كتب الله له مرحبا الى يوم القيامة، فاذا صافحه أنزل الله فيما بين إبهاميهما مائة رحمة، تسعة وتسعين لأشدّهم حبا لصاحبه، ثم أقبل الله عليهما بوجهه، فكان على أشدهما حبا لصاحبه أشد أقبالا، فإذا تعانقا، غمرتهما الرحمة، فإذا لبثا لا يريدان إلا وجهه، لا يريدان غرضا من أغراض الدنيا، قيل لهما: غفر الله لكما فاستأنفا فإذا أقبلا على المسائلة قالت الملائكة بعضهم لبعض: تنحوا عنهما فإن لهما سراً وقد ستَر الله عليهما قال اسحق: قلت له جعلت فداك: ألايكتب علينا لفظنا، فقد قال الله عز وجل ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق/١٨.

قال فتنفس ابن رسول الله صلى الله عليه وآله الصعداء، ثم بكى حتى

خضبت دموعه لحيته، وقال يا إسحق إن الله تبارك وتعالى إنما نادى الملائكة أن يغيبوا عن المؤمنين إذا التقيا إجلالا لهما فإذا كانت الملائكة لا تكتب لفظهما، ولا تعرف كلامهما، فقد عرفه الحافظ عليهما، عالم السر وأخفى.

يا إسحق فخف الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى انّه لا يراك فقد كفرت، وان كنت تعلم أنه يراك، ثم استترت عن المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها، فقد جعلته في حد أهون الناظرين إليك[1].

والذي يتابع كلمات أئمة أهل البيت عليهم السلام من بعد مصرع الإمام الحسين عليه السلام الى الغيبة الصغرى، وهي الفترة التي تم فيها تشييد الجماعة الصالحة واستقرارها في الأرض، وتَوَسعت وانتشرت في بلاد واسعة من الأرض في آسيا وافريقيا، يجد تأكيداً بليغاً في الاهتمام ببناء الجماعة الصالحة

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص١٤٦-١٤٧ ط ١٣٦٨ تحقيق السيد محمد مهدي الخرسان منشورات الشريف الرضي، والكافي للكليني: ١٨١/٢-١٨٢.

والتواصل والتكافل والتعاون على البر والتقوى داخل هذه الجماعة.

التواصل والتكافل الاجتماعي في كلمات الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

وقدّر الله تعالى: ان يكون الإمام علي بن الحسين عليه السلام هو الذي يضع اللبنات الاولى للجماعة الصالحة، في ظروف صعبة غاية الصعوبة.

ولكن رغم كل الارهاب الأموي، فقد نجح المشروع على يد زين العابدين عليه السلام نجاحاً باهراً.

وكان للرقيق الذين يشتريهم الإمام علي بن الحسين عليه السلام ويعتقهم في سبيل الله وقد بلغ عددهم الالاف[1] كما يقول المؤرخون دور في إعداد هذه الجماعة.

هؤلاء كانوا في دائرة زين العابدين عليه السلام يربطهم به ولاء العتق.

---

(١) راجع بحار الأنوار: ١٠٤/٤٦-١٠٥.

يقول عبد العزيز سيد الاهل في كتابه القيم عن الإمام زين العابدين عليه السلام: وجعل الدولاب يسير، والزمن يمر، وزين العابدين يهب الحرية في كل عام وكل شهر وكل يوم، وعند كل هفوة وغلطة، وكل خطأ حتى صار في المدينة جيش من الموالين الاحرار والحرائر، وكلهم في ولاء زين العابدين[1].

فكان اذا تعرض زين العابدين عليه السلام لاذى او أساءه وقفوا معه وانتصروا له.

يروي ابن الجوزي في صفة الصفوة عن عبد الغفار بن القاسم الانصاري. قال كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسبّه فثارت اليه العبيد والموالي. فقال علي بن الحسين مهلاً عن الرجل، ثم اقبل على الرجل، فقال له ما ستر عنك من امرنا اكثر. ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل فالقى عليه خميصة كانت عليه، فكان الرجل

(١) زين العابدين سيد الأهل: ص٤٧.

يقول بعد ذلك: أشهد أنك من اولاد الرسول[1].

ومهما يكن من امر فقد بدأ علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في المدينة باعداد (الجماعة الصالحة) وهم شيعته، يعلمهم ويثقفهم في الدين، ويغطهم، ويتولى امورهم، ويتفقدهم، ويأمرهم بالكتمان وحفظ السر، ويمنعهم من الثرثرة والطيش والنزق.

فكان يقول عليه السلام: «وددت والله إني افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي: النزق وقلة الكتمان»[2].

وقد أعطى الإمام زين العابدين عليه السلام كثيراً من جهده ووقته وإهتمامه لاعداد هذه الجماعة ورعايتها وتثقيفها.

وكان من اهم وجوه تثقيف هذه الجماعة التثقيف بثقافة التواصل والتكافل الاجتماعي والتعاون على البر والتقوى فيما بينهم.

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي: ١٠٠/٢.

(٢) الكافي: ٢٢١/٢ وبحار الأنوار: ٧٢/٧٥ وخصال الصدوق: ٤٤، والنزف الطيش والخفة وسرعة الانفعال والاستعجال.

ونحن اذ لا يسعنا الأن ان نجمع نصوص احاديث الإمام زين العابدين عليه السلام في بناء وتشييد الجماعة الصالحة وتحصينها ضد التحديات المعاصرة لها، في ظروف الارهاب الأموي... أحُاول هنا ان أضع بين يدي القارئ طائفةً من النصوص المروية عن الإمام زين العابدين عليه السلام في التواصل والتكافل الاجتماعي. والتعاون على البر والتقوى داخل الجماعة الصالحة، وأليك شواهد ونماذج من هذه النصوص:

١ـ قضاء حوائج المؤمنين:

نقرء في حديث الإمام زين العابدين عليه السلام جملة من النصوص في الترغيب في قضاء حوائج المؤمنين نذكر منها النصيين التالية:

عن ابي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: من قضى لأخيه حاجة، قضى الله له بها مائة حاجة، في إحداهن الجنة، ومن نَفَّسَ عن أخيه كُرْبة، نَفّس الله عنه كربة يوم القيامة، بالغا ما بلغت، ومن أعانه على ظالم له، أعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الاقدام، ومن سعى له في حاجة

حتى قضاها لـه فَسُرّ بقضـائها، فكـان كإدخـال السـرور علـى رسـول الله صلى الله عليه وآله، ومـن سـقاه مـن ظمـأ سـقاه الله مـن الرحيـق المختوم، ومن أطعمه مـن جـوع أطعمـه الله مـن ثمـار الجنـة، ومن كساه من عرى كساه الله من إستبرق وحرير، ومن كساه من غير عرى لم بزل في ضمان الله مـا دام علـى المكسـو مـن الثوب سلك، ومن كفاه بما هو يمتهنه ويكف وجهـه ويصـل به يديه، يخدمه الولدان، ومن حمله (على) رحله بعثه الله يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة، يباهي به الملائكة، ومن كفنه عند موته، فكأنما كساه يوم ولدته امه الى يوم يمـوت، ومـن زوجه زوجة يأنس بها، ويسكن أليها آنسه الله في قبره بصورة أحب أهله أليه، ومن عاده عند مرضه حفته الملائكة تدعو له حتى ينصرف، وتقول طبت وطابـت لـك الجنـة، والله لقضـاء حاجته أحب الى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما في الشهر الحرام[1].

(١) ثـواب الأعمـال للشـيخ الصـدوق: ص١٤٦، منشـورات الشـريف الرضي قم: ١٣٦٨ تحقيق السيد محمد مهدي الخرسان.

وفي نص آخر، يحثهم الإمام عليه السلام على المواساة والإحسان، والمنافسة فيقول: شيعتنا! أما الجنة فلن تفوتكم، سريعا كان أم بطيئا، ولكن تنافسوا في الدرجات!

واعلموا ان أرفعكم درجات، وأحسنكم قصورا، ودورا، وأبنية: أحسنكم إيجابا بايجاب المؤمنين، وأكثركم مواساة لفقرائهم.

إنّ الله ليقرب الواحد منكم الى الجنة بكلمة طيبة يكلم أخاه المؤمن الفقير، بأكثر من مسيرة ماءة عام بقدمه، وإن كان من المعذبين بالنار.

فلا تحتقروا الإحسان الى إخوانكم، فسوف ينفعكم حيث لا يقوم مقام غيره[1].

٢ـ صلة الرحم:

عن أبي جميلة عن الوصافي، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سرّه أن يمد الله في عمره وأن

---

(١) بحار الأنوار: ٣٠٨/٧١.

يبسط له في رزقه فليصل رحمه، فإن الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق (بليغ) تقول: يا رب صلْ من وصلني واقطع من قطعني، فالرجل ليرى بسبيل خير إذ أتته الرحم التي قطعها فتهوى به الى أسفل قعر في النار[1].

٣ـ شكر الجميل:

روى سفيان بن عيينة عن عمار الدهني قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: إن الله يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور، ويقول الله تعالى لعبد من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلانا فيقول: بل شكرتك يا رب فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره، ثم قال: أشكركم لله أشكركم للناس[2].

٤ـ قبول الاعتذار من المسيئين:

محمد بن أبي عبد الله عن موسى بن عمران عن عمه الحسين بن عيسى بن عبد الله عن علي بن جعفر عن أخيه أبي

---

(١) الكافي للكليني: ١٥٦/٢.
(٢) الكافي: ٩٩/٢ ومنهاج البراعه في شرح نهج البلاغة: ٢٧٤/٢.

الحسن موسى عليه السلام قال: «أخذ أبي بيدي ثم قال يا بني أن أبي محمد بن علي أخذ بيدي، كما أخذت بيدك وقال إن أبي علي بن الحسين أخذ بيدي ثم قال يا بني افعل الخير الى كل من طلبه منك، فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن من أهله، كنت أنت من أهله وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول الى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره»[1].

٥ـ الرفق:

في كتاب الخصال عن الزهري عن علي بن الحسين عليه السلام قال: كان آخر ما أوصى به الخضر، موسى بن عمران عليهما السلام أن قال: لا تُعَيرِّ أحداً بذنب، وإنّ أحب الأمور الى الله تعالى ثلاثة: القصد في الشدة، والعفو في القدرة، والرفق بعباد الله وما رفق أحد بأحد في الدنيا الا رفق الله تعالى به يوم القيامة، ورأس الحكمة مخافة الله تبارك وتعالى[2].

---

(١) الكافي: ١٥٢/٨ والوافي: ٤٥٠/١٠.

(٢) تفسير نور الثقلين للحويزي: ٢٩١/٣.

٦ـ الهداية والتثقيف والتعليم:

عن علي بن الحسين عليهما السلام: أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام: حببني الى خلقي وحبب خلقي ألي.

قال: يا رب، كيف أفعل؟

قال: ذكرهم آلائي ونعمائي ليحبوني، فلئن ترد آبقا عن بابي أو ضالا عن فنائي، أفضل لك من عبادة (مائة) سنة صيام نهارها وقيام ليلها.

قال موسى عليه السلام: ومن هذا العبد الآبق منك؟ قال: العاصي المتمرد.

قال: فمن الضال عن فنائك؟

قال: الجاهل بإمام زمانه تُعَرِّفه، والغائب عنه بعد ما عرفه، الجاهل بشريعة دينه تعرفه شريعته، وما يعبد به ربه، وتوصل به الى مرضاته[1].

---

(١) مستدرك الوسائل: ٣١٩/١٧، ٢٠٤/١٢، الجواهر السنية للحر العاملي: ٧٧، التفسير المنسوب الى الإمام العسكري: ٣٤٢.

٧ـ التحذير من إزدراء الناس:

عن أبي بصير، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئا من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عبادة فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم[1].

٨ـ مقابلة الإساءة بالاحسان:

عن ابي حمزة الثمالي. قال سمعت علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، يقول:

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق: ٢٠٩-٢١٠.

ما من خطوة احب الى الله عز وجل من خطوتين: خطوة يسد بها المؤمن صّفا في سبيل الله، وخطوة الى ذي رحم قاطع.

وما من جرعة أحب الى الله عز وجل من جرعتين: جرعة غيظ ردّها مؤمن بحلم، وجرعة مصيبة ردها مؤمن بصبر.

وما من قطرة أحب الى الله عز وجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل، لا يريد بها عبد إلا الله عز وجل[1].

عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد ثمَّ ينادي مناد: أين أهل الفضل؟ قال يقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون ما كان فضلكم؟ فيقولون كنا نصل من قطعنا، ونعطي من حرمنا، ونعفو عمن ظلمنا قال: فيقال لهم ادخلوا الجنة[2].

---

(١) الخصال للصدوق: ٥٠

(٢) الكافي: ١٠٧/٢.

٩ـ الدعاء للمؤمنين بظهر الغيب:

عن أبي عبيدة، عن ثوير قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير قالوا: نعم الأخ لأخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بخير، قد أعطالك الله عز وجل مثلي ما سألت له وأثنى عليك مثلي ما أثنيت عليه ولك الفضل عليه، وإذا سمعوه يذكر أخاه بسوء، ويدعو عليه قالوا له: بئس الأخ أنت لأخيك كُفَّ أيها المُسَتَّر على ذنوبه وعورته، وأربع على نفسك وأحمد الله الذي ستر عليك وأعلم أن الله عز وجل أعلم بعبده منك[1].

١٠ـ طيب الاخلاق:

عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في أخر خطبته: طوبى لمن طاب خلقه، وطهرت سجيته، وصلحت سريرته،

(١) الكافي: ٥٠٨/٢ ووسائل الشيعة: ١١٦٤/٤.

وحسنت علانيته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله وأنصف الناس من نفسه[1]

عن علي بن الحسين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»[2].

١١ـ التزاور والتحابب والتواصل في الله:

قال عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل، فيقوم ناس من الناس فيقال: انطلقوا الى الجنة، فتلقاهم الملائكة، فيقولون: الى أين؟ فيقولون: الى الجنة، قالوا قبل الحساب؟! قالوا نعم. قالوا: ومن أنتم؟ قالوا: أهل الفضل. قالوا: وما كان فضلكم؟ قالوا: كُنّا إذا جهُل علينا حلمنا، وإذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسيء الينا غفرنا. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثم يقول: ينادي مناد ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من

---

(١) جامع احاديث الشيعة للسيد البروجردي ١٤/٢٩٤-٢٩٥.
(٢) الكافي: ٢/٩٩ ج٢

الناس. فيقال لهم: انطلقوا الى الجنة بغير حساب، فتتلقاهم الملائكة، فيقال لهم مثل ذلك، فيقولون: نحن أهل الصبر. قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبّرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبَّرناها عن معصية الله. قالوا: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين.

ثم ينادي مناد: ليقم جيران الله في داره، فيقوم ناس من الناس، وهم قليل، فيقال لهم: إنطلقوا الى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم: مثل ذلك. قالوا: وبم جاورتم الله في داره؟ قالوا كنا نتزاور في الله، ونتجالس في الله، ونتبادل في الله. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين[1].

وقال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام: أني لأحبك في الله حبا شديدا، فنكس رأسه، ثم قال: اللهم إني أعوذ بك ان أحَبَّ

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ١٣٣/٩ واعيان الشيعة: ٦٢٧/١ وكشف الغمة للاربلي: ٣١٥/٢ وشرح احقاق الحق للسيد المرعشي: ١١٣/٢٨ وبلاغة الإمام علي بن الحسين للحائري: ١٧٦.

فيك، وأنت لي مبغض، ثم قال أحَبكّ الذي تحبني فيه[1].

(١) اعيان الشيعة: ٦٤٤/١.

الفهرس

٤ ـ الثقافة الوعظية ٥
خطاب الدعاء والوعظ: ٥
الخطاب الدعائي ـ الوعظي المزدوج: ٧
دعاء كميل نموذجاً: ٨
دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام: ٩
نموذج من الخطاب الوعظي لزين العابدين عليه السلام ١١
نص الخطاب: ١٢
تأملات حول الخطاب: ١٩
الغافل غير المغفول عنه: ٢٠
مواقف السؤال: ٢١
(١) الصلاح، (٢) النية، (٣) الإيمان: ٢٤
الهول الأكبر من أهوال ما بعد الموت: ٢٤
التحذير من المعاصي: ٢٨
السعيد من وُعِظَ بغيره: ٣١
الركون الى الدنيا والركون الى الظالمين: ٣٢
خطاب وعظي آخر للإمام زين العابدين عليه السلام: ٣٤

تأملات في خطاب الإمام عليه السلام: ٤٠
فتنة الطاغوت: ٤٠
فتنة الدنيا: ٤٤
التقوى والزهد: ٤٤
الركونان اللذان يفسدان الناس: ٤٨
الطريقة الصحيحة للرؤية: ٥٦
الفتن التي تسلب بصائر الناس في كلمات زين العابدين عليه السلام: ٥٩
كيف تتكون الفتنة: ٦٣
كيف يسلم الناس من الفتنة: ٦٥
الاعتبار بالتاريخ: ٦٨
نقاط ثلاثة في كلام الإمام عليه السلام: ٦٩
المكاشفة والخطاب الذاتي في تراث الإمام زين العابدين عليه السلام ٧٣
العلاقة الذاتية في القرآن: ٧٤
السجال الذاتي والشرود عن الذات: ٧٨
الغربة عن الذات: ٧٩

الدعوة الى العودة الى النفس:..... ٨١
معرفة النفس:..... ٨٢
أقصر السبل الى معرفة الله:..... ٨٢
محاسبة النفس:..... ٨٤
خطاب المكاشفة الذاتية:..... ٨٦
الخلوات النافعة:..... ٨٧
أبواب التعامل مع الذات:..... ٩٠
نص الندبة:..... ٩٤
الشعر الوعظي:..... ١٠٤
٥ ـ التثقيف بمرجعية أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وثقافة الولاء والبراءة..... ١٠٩
التثقيف بالولاء والبراءة ومرجعية أهل البيت عليهم السلام:..... ١٠٩
النصوص النبوية في مرجعية أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم:..... ١٠٩
المحافظة على تواتر النصوص النبوية في مرجعية أهل البيت عليهم السلام..... ١١٣

الإمام عليه السلام يدعوا الى تثبيت مرجعية أهل البيت عليهم السلام: ١١٦
الدعاء السياسي: ١٢٠
الشعر السياسي: ١٢٣
٦ ـ ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعي ١٢٧
الأسس السياسية الثلاثة في ثقافة أهل البيت عليهم السلام: ... ١٢٧
١- مقاطعة الحكام الظلمة: ١٢٧
٢- الحضور في وسط الأمة: ١٣٠
٣- بناء الجماعة الصالحة: ١٣٥
التواصل والتكافل الاجتماعي في كلمات الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ١٤٠
١- قضاء حوائج المؤمنين: ١٤٣
٢- صلة الرحم: ١٤٥
٣- شكر الجميل: ١٤٦
٤- قبول الاعتذار من المسيئين: ١٤٦
٥- الرفق: ١٤٧
٦- الهداية والتثقيف والتعليم: ١٤٨

٧- التحذير من إزدراء الناس:..... ١٤٩
٨- مقابلة الإساءة بالاحسان: ١٤٩
٩- الدعاء للمؤمنين بظهر الغيب:..... ١٥١
١٠- طيب الاخلاق:..... ١٥١
١١- التزاور والتحابب والتواصل في الله: ١٥٢
الفهرس ١٥٥